

الفصل الثالث

التناوب

التناوب هو إحلال كلمة - قد تكون اسمًا أو فعلًا أو حرفًا - محل غيرها مما يناظرها، فتؤدّي معناها، وتنب عنها في السياق.

والتناوب في اللغة فيه معنى التبادل وتقسيم الأمر الواحد وتوزيعه، وفيه - أيضًا - معنى الإحلال، أى إحلال شىء محل شىء آخر، «يقال للقوم في السفر: يتناوبون، ويتنازلون، ويتطاعمون، أى يأكلون عند هذا نَزْلَةً وعند هذا نَزْلَةً، والنَزْلَةُ: الطَّعَامُ يصنعه لهم حتى يشبعوا، يُقال: كانَ اليومَ على فلان نَزْلَتَنَا، وأكلنا عند نَزْلَتِنَا، وكذلك النَّوْبَةُ، والتناوبُ على كلِّ واحدٍ منهمُ نوبةً ينوبها، أى طعام يوم»^(١).

وجاء - أيضًا - في اللسان: «تَنَابَوَ القومُ الماءَ: تقاسمُوهُ على المَقْلَةِ، وهى حِصَاةُ القَسَمِ»^(٢). وقيل - أيضًا - «تناوبنا الخطبَ والأمرَ، نتناوبُهُ إذا قمنا به نوبةً بعد نوبةٍ... وهم يتناوبون النَّوْبَةَ فيما بينهم في الماء وغيره وناب الشىء عن الشىء ينوبُ: قامَ مقامُهُ»^(٣).

وقيمة التناوب أنه لا يُثَبِّتُ المعنى الكامن في الكلمة الواردة في السياق فحسب، بل تتم في ذات الوقت عملية استحضار للكلمة المنوب عنها، وما ينجزُ عنها من معانٍ، فَتَحَدَّثُ عمليةً مزاجيةً بين الكلمتين المنوب عنها والنائبة، ومن ثمَّ تَزَاوَجُ المعنيين، مما يؤدي في النهاية إلى إثراء المعنى. إذن فالتناوب لا يلغى معنىً بمعنى آخر، بل تُثَبِّتُ معنيين في آنٍ واحد.

وقد انقسم البحث في التناوب عند البارودى إلى أربعة أقسام:

- أولاً: التناوب في الأفعال.

- ثانياً: التناوب في الأسماء.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: نوب، ص ٤٥٦٩.

(٢) المرجع السابق، مادة: نوب، ص ٤٥٦٩.

(٣) المرجع السابق، مادة: نوب، ص ٤٥٦٩.

- ثالثاً: التناوب في المصادر.

- رابعاً: التناوب في الحروف.

وقد اعتمد البحث في ظواهر التناوب عند تأصيل معاني الأفعال أو الأسماء أو المصادر ودلالاتها على معجم لسان العرب ط. دار المعارف بتحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.

ومما يجدر ذكره أن البحث في التناوب قد أفاد إفادة كبيرة من شرح الديوان وتعليقات شارحيه على القصائد، خاصة الجزأين الثالث والرابع، فكانت الشروح - في كثير من الأحيان - مفتاحاً للبحث في ظواهر التناوب.

أولاً: التناوب بين الأفعال:

وترد هذه الظاهرة في سبعة وأربعين موضعاً تتوزع على ست صور كما يلي:

☆ الصورة الأولى:

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي بنفسها، وتتعدى في السياق بحرف جر: ويمثل هذه الصورة عشرة مواضع:

(١) لَقَدْ أَوْدَعَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِمُهْجَتِي نُدُوبًا، كَأَثْرِ الْوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ^(١)

فقد تعدى الفعل «أودع» - بالباء - إلى مفعولين، على الرغم من أنه يتعدى في الأصل بنفسه، وبذا ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل «ترك». وبين الفعلين «أودع» و«ترك» علاقة وارتباط، ف«قَوْلُهُمْ»: ذَعْ هَذَا، أَى اتْرُكْهُ، وَوَدَعَهُ يَدَعُهُ: تَرُكُهُ...^(٢).

وقيمة الفعل «أودع» - هنا - أنه يجعل هذه الندوب بمثابة وديعة عنده، فامتزج معنيان: معنى الوديعة ومعنى الترك.

(٢) أَلَا إِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ وَإِنْ نَمَتْ فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَفُوقُ عَلَى الْكُلِّ^(٣)

فالفعل «فأق» بعد تعديته بحرف الجر «على»، صار نائباً عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل «طغى».

(١) الديوان ج٣، ص ٢٨٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ودع، ص ٤٧٩٧.

(٣) الديوان ج٣، ص ٢١٥.

وثمة رابطة معنوية بين الفعلين: «فاق» و«طغى»، ففى اللسان: «فاق الشيء قَوْقًا وفوقًا: غلاه... وفاق الرجلُ صاحِبَهُ: غلاه وَعَلَبَهُ وَقَضَلَهُ»^(١). أما «طغى» فإنه يتعدى بحرف الجر «على»، ولعل هذا هو الدافع إلى إحلال «تفوق على» محل «تطغى على»، وتدلنا قواعد معانى الحروف فى النحو العربى على أن من معانى حرف الجر «على» فى السياق إفادته الاستعلاء المعنوى، وقد اتضحت أوجه هذا الاستعلاء فى الموضوع التالى:

وَقَارَ بِلَا كِبَرٍ، وَصَفَحَ بِلَا أَدَى
وَجُودَ بِلَا مَنْ، وَجَلَمَ بِلَا دُلَّ^(٢)

إذ فاقت هذه الخصال الأربع ما عداها من خصال وطغت عليها.

(٣) فَمَا يَمُرُّ خِيَالِ الْغَدْرِ فِي خَلْدِي
وَلَا تَلُوحُ سِمَاتُ الشَّرْفِ خَالِي^(٣)

فقد تعدى الفعل «يمر» بـ «فى»، وهو يتعدى فى الأصل بنفسه، كما قد يتعدى بالباء ويعلى، إذ يقال «مَرَّ عَلَيْهِ وَبِهِ يَمُرُّ مَرًّا، أَى اجْتَازَ... وَمَرٌّ يَمُرُّ مَرًّا وَمُرُورًا: جَاءَ وَذَهَبَ»^(٤).

وهذا الفعل «يجوز أن يكون مما يتعدى بحرف وغير حرف»^(٥)، وهو فى السياق الشعري السابق يكون بمعنى فعل آخر يتعدى بـ «فى» مثل «يَرِدُ»، ويكون المعنى على هذا أن خيال الغدر لا يَرِدُ فى خَلْدِهِ ولا يمر به، يريد أنه لا يعرف من الغدر قليله أو كثيرة.

(٤) تَأْمَلُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ
لَعَلَّكَ تَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَسَمِ^(٦)

وفيه تعدى الفعل «تأمل» بـ «إلى» - وهو فى الأصل يتعدى بنفسه أو بـ «فى» - فصار نائبًا عن فعل آخر يتعدى بـ «إلى» وينظره فى المعنى مثل «انظر». وبين الفعلين - النائب والنوب عنه - ارتباط معنوي، إذ يقال: «تأملت الشيء؛ أى نظرت إليه مستثبًا له. وتأمل الرجل: تَثَبَّتَ فى الأمر والنظر»^(٧).

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة، فوق، ص ٣٤٨٧.

(٢) الديوان ج٣، ص ٢١٥.

(٣) الديوان ج٣، ص ٩٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة: مرر، ص ٤١٧٤.

(٥) المرجع السابق. مادة: مرر، ص ٤١٧٤.

(٦) الديوان ج٣، ص ٤٥١.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: أمل، ص ١٣٢.

وهو يريد أن يقول: انظر إلى الدنيا وتأملها، كأن المعنيين: النظر والتأمل، قد حضرا في السياق.

(٥) فَمَعِطَانِيهَا قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ التُّهَى عَلَيَّ، وَيَسْتَهْوَى الزَّمَانَ عَلَيَّ زَهْوَى^(١)

حيث ورد الفعل «يستهوى» - وهو في الأصل يتعدى بنفسه - متعديا بـ «على»، إذ يقال: «استهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله...»^(٢). ويقال: «استهوته الشياطين: هوت به وأذهبته»^(٣).

فالفعل «يستهوى» ناب عن فعل آخر يناظره ويتعدى بـ «على» مثل «يقضى». والمعنيان اللذان حضرا... قبل أن يقضى الزمان على شباي فيذهب به.

(٦) فَكَأَنَّمَا افْتَرَسَتْ بِطَائِرٍ حِلْمِهِ مَشْمُوءَةٌ، أَوْ سَاغَ سَمَّ الْأَسْوَدِ^(٤)

وفيه تعدى الفعل «افترس» بالباء، وهو في الأصل يتعدى بنفسه^(٥)، فناب عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل «هوى بـ» أو «فتك بـ».

والمعنى الأول على الاستعارة: فكان الخمر قد افترتست طائر حلمه، والمعنى الآخر: كان الخمر قد هوت بعقله وأذهبته.

(٧) تَمَلَّ بِالْمَلِكِ يَا عَبَّاسُ، وَانْقَ لَنَا فِي نِعْمَةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدْرٌ^(٦)

حيث ناب فعل الأمر «تمل» عن فعل آخر يناظره، ويتعدى بالباء مثل «تمتع». وبين الفعلين رابطة قوية، ففي اللسان «تَمَلَّى إِخْوَانَهُ: مُتَّعَ بِهِمْ. يُقَالُ مَلَأَكَ اللَّهُ حَبِيبَكَ، أَيْ مَتَّعَكَ بِهِ وَأَعَاشَكَ مَعَهُ طَوِيلًا... وتَمَلَّيْتُ عَمْرِي: اسْتَمْتَعْتُ بِهِ»^(٧).

(٨) أَعَاشَرَهُمْ رَغْمًا، وَوَدَى لَوْ أَنَّ لِي بِهِمْ نَعْمًا أُدْعَوِ بِهِ فَيَسَارِعُ^(٨)

فالفعل «أدعو» يتعدى بنفسه، فيقال «دعوت فلاناً، أى صحت به

(١) الديوان ج٤، ص ٢٠٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: هوى، ص ٤٧٢٨.

(٣) المرجع السابق، مادة: هوى، ص ٤٧٢٨.

(٤) الديوان ج١، ص ١٩٧.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: فرس، ص ٣٣٨٠.

(٦) الديوان ج٢، ص ٥١.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ملأ، ص ٤٢٧٢.

(٨) الديوان ج٢، ص ٢١١.

واستدعيته...^(١). فيكون الفعل «أدعوه» في السياق السابق - نائباً عن الفعل «أصيح» الذي يمكن أن يتعدى بالباء .

(٩) لَأَيِّ خَلِيلٍ فِي الزَّمَانِ أَرَأَيْقُ وَأَكْثَرُ مَنْ لَأَقَيْتُ حَبَّ مُنَافِقٍ؟^(٢)

إذ ناب الفعل «أراقق» عن نظير له يتعدى باللام مثل «أحن» أو «أميل» . والرفيق هو الصاحب في السفر^(٣) .

والمعنيان: مَنْ هو الصديق الذي أرافقه؟... وأحن إلى مَنْ في هذا الزمان؟

(١٠) وَأَصْطَحِبُ بِمَنْ بِبِعْمِكَ الْمَسْرَحُ^(٤)

حيث تعدى فعل الأمر «اصطحب» بالباء، فتاب عن مثيل له يتعدى بذات الحرف مثل «اقترن» . والفعلان بينهما صلة وثيقة، إذ يقال: اصطحب الرجلان، وتصاحباً، واصطحب القوم: صَحِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٥) .

أي: اصطحب بمن يبعث المرح واقترن به .

ونلاحظ في المواضع العشرة السابقة ارتباطاً قوياً بين الفعل الوارد في السياق والآخر المنوب عنه، إلى الحد الذي يكون فيه معنى الفعل المذكور - في بعض الحالات - مرادفاً في الاستعمال لمعنى الفعل المراد .

والدلالة الفنية في عملية استبدال فعل بآخر في هذه الصورة تكمن في الرغبة في توسيع المعنى، بحيث يتبادر إلى ذهن المتلقى معنيان بدلاً من معنى واحد، فينصرف العقل إلى كلا المعنيين معاً، مما يؤدي - في النهاية - إلى إثراء معنى البيت .

☆ الصورة الثانية:

أفعال هي في الأصل اللغوى لازمة، ولكنها وردت في السياق متعديةً .

وقد جاء على هذه الصورة موضعان: الأول قوله:

(١) تَأَلَّمْتُ فَقْدَانَ الْأَجْبَةِ جَارِغًا وَمَنْ شَفَّهُ فَقَدْ الْحَبِيبِ تَأَلَّمَا^(٦)

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دعا، ص ١٣٨٦ .

(٢) اللحيان ج٢، ص ٣٣٨ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: رفق، ص ١٦٩٥ .

(٤) اللحيان ج١، ص ١٧٠ .

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: صحب، ص ٢٤٠١ .

(٦) اللحيان ج٣، ص ٤٠٥ .

فالفعل «تألم» لازم غير متعد، وقد تعدى - في السياق - إلى مفعول به، فصار نائباً عن نظير له مثل «تَحَمَّل». وفي اللسان: «تألم فلان من فلان: إذا تشكَّى وتوجَّع منه»^(١). والتشكَّى والتوجع لا يحدثان إلا بعد تَحَمَّل. فثمة علاقة بين الفعلين تألم وتحمل. والمعنيان الواردان: لقد تحملت فقدان الأحبة... وتألمت منه.

أما الموضع الثاني فهو قوله:

(٢) تَجَافَى النَّوْمَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَطَابَ لِعَيْنَيْهِ فِيهَا السُّهَادُ^(٢)

إذ تعدى الفعل «تجافى» إلى مفعول به، وهو في الأصل لازم، ففي اللسان: «جَفَا جَنْبُهُ عَنِ الْفِرَاشِ وَتَجَافَى: نَبَا عَنْهُ وَلَمْ يَطْمِئَنَّ عَلَيْهِ. وَجَافَيْتُ جَنْبِي عَنِ الْفِرَاشِ فَتَجَافَى»^(٣). والفعل بعد تعديته ناب عن مثيل له يتعدى إلى مفعول به مثل «هَجَرَ». وبين الفعلين ارتباط في المعنى.

والمعنيان: لقد ترك النوم... بل هجره، فالمعنى الثاني «الهَجَرَ» أقوى - من حيث الدلالة - من المعنى الأول.

وتبدو العلاقة واضحة في هذين الموضعين بين الفعلين المذكورين في السياق الشعري والآخرين المنوب عنهما.

☆ الصورة الثالثة:

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره: وتأتى هذه الصورة في ثلاثة عشر موضعاً:

(١) مُتَشَابِهَ الطَّرْفَيْنِ يُنْبِئُ صَدْرُهُ عَمَّا تَلَا حَقَّ، فَهُوَ بِأَدَى الْمَغْلَمِ^(٤)

فالفعل ينبئ يتعدى بالباء، وقد يتعدى بنفسه، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بـ «عن» مثل «يحكى»، فينبئ معناه يخبر^(٥)، وبذا تتضح الصلة بين الفعلين: «ينبئ» و«يخبر»، فشعره متشابه الطرفين، يخبر صدره عما تلاحق وينبئ به.

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ألم، ص ١١٣.

(٢) الديوان جا، ص ٢٨٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: جفا، ص ٦٤٦.

(٤) الديوان ج٣، ص ٤٩٥.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: نبأ، ص ٤٣١٥.

(٢) يَضْبُو بِهَا الْحَكْمَى ضَبْوَةً غَاشِقٍ وَتَحْفُفٌ مِنْ طَرَبٍ عَرَبِيَّةٌ مُسْلِمٌ^(١)

حيث تعدى الفعل «يصبو» بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ«إلى»^(٢). وبذا يكون قد ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل «يخرم»^(٣). وبين الفعلين، الوارد في السياق والآخر المقصود علاقة وثيقة، فمن معانى الضبا: الميل إلى الشيء والشوق إليه^(٤). والمراء لا يميل إلى الشيء إلا إذا أُغْرِمَ به.

(٣) عَطْفًا عَنِّي، فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ سِوَى أَنْ أَمْتِعَ الْعَيْنَ مِنْ بَمَثَالِكَ الْحَسَنِ^(٥)

إذُ تعدى الفعل «أمتع» بـ«من». وحقه أن يتعدى بالباء^(٦)، فناب بذلك عن نظير له يتعدى بـ«من» مثل «أملأ».

والفعلان «أمتع» و«أملأ» بينهما رابطة، فامتلاء العين من المنظر الحسن متعة، فالعلاقة بين الفعلين: أملأ وأمتع علاقة سببية؛ أى أن أولهما سبب للآخر.

(٤) وَكَذًا اللَّيْمُ إِذَا أَصَابَ كَرَامَةً غَاذَى الضَّيِّقَ، وَمَالَ بِالْإِخْوَانِ^(٧)

وفيه تعدى الفعل «مال» بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ«عن» ويفيد معنى الإعراض، ويتعدى بـ«على» متضمنًا معنى الظلم، كما قد يرد لازمًا^(٨). وعلى ذلك يكون الفعل «مال» بمعنى فعل آخر يتعدى بالباء مثل «عُزَّره». والمعنيان: ... غرر بالإخوان... وظلَّهم.

(٥) أَعَاذَلُ، خَلَّنِي وَشَتُونَ قَلْبِي وَخَذَ مَا شِئْتَهُ فِي أَى شَانَ

فَقَدْ شَبَّ الْهَوَى مِنْ رَامٍ تُضْجِي وَأَغْرَى فِي الْمَحَبَّةِ مَنْ نَهَانِي^(٩)

حيث جاء الفعل «أغرى» متعلقًا بـ«في». وهو في الأصل يتعدى بالباء، وقد يتعدى

(١) الديوان ج٣، ص ٤٩٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة، صبا، ص ٢٣٩٨.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٤٩٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة، صبا، ص ٢٣٩٨.

(٥) الديوان ج٤، ص ٧٧.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة، متع، ص ٤١٢٩.

(٧) الديوان ج٤، ص ٥٣.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ميل، ص ٤٣٠٩.

(٩) الديوان ج٤، ص ٥٧.

بنفسه^(١). وهو ينوب في السياق عن فعل آخر يتعدى بـ«في» ويشابهه في المعنى مثل «أوقع».

والمعنيان: ... لقد أوقعني مَنْ نهاني عن المحبة فيها... وأغراني بها.

(٦) صَبَابَةٌ أَغْرَتْ عَلَى الْأَسَى وَذَلَّتِ السُّهْدَ عَلَى مَضْجَعِي^(٢)

فالفعل «أغرى» - هنا - بمعنى «حَرَّضَ» وفي الإغراء حث وتشجيع وتحريض.

(٧) إِنِّي فَقَنْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بَيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرَدُّوهُ عَلَى لَاهِتِي

أَوْ فَاسْتَقْبِدُونِي بِبَغْضِ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدُّ إِلَى نَفْسِي أَوْ تَدِي^(٣)

إذ تعدى الفعل «استقاد» بالباء، وهو يتعدى بـ«مِنْ»^(٤)، فالأصل أن يقال:

«استقبدوني من بعض قيانكم»، أي: سألتهم أن يقتضوا لي من هؤلاء القيان. وعلى

ذلك يكون الفعل «استقاد» بمعنى «بادل» أي: فبادلوني ببعض قيانكم. وبين الفعلين

«استقاد» و«بادل» ارتباط، فإذا كان القودُ قتل النفس بالنفس^(٥)، فإن المبادلة تعنى أخذ

شيء مكان غيره^(٦).

(٨) عَلَى أَنِّي لَمْ آتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةٌ تَغْضُ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تَزْرِي^(٧)

إذ تعدى الفعل «تغض» بالباء، والأصل أن يتعدى بـ«مِنْ»^(٨)، فتاب عن مثيل له

يتعدى بالباء مثل «تزرى»، والمعنى في الفعلين يكاد يكون واحداً، بل يمكن القول: إن

اللفظين مترادفان، ومن ثمَّ فهذا الترادف يؤدي إلى تأكيد المعنى.

والمعنيان: ... تزرى بذكري وتغض منه، أي تحقر من شأنه.

(٩) فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَا ضِي^(٩)

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غرا، ص ٣٢٥.

(٢) الديوان ج٢، ص ٢٣٠.

(٣) الديوان ج١، ص ١٩٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: قود، ص ٣٧٧.

(٥) المرجع السابق، مادة: قود، ص ٣٧٧.

(٦) المرجع السابق، مادة: بدل، ص ٢٣١.

(٧) الديوان ج٢، ص ١٣.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غضض، ص ٣٢٦.

(٩) الديوان ج٢، ص ١٩٣.

حيث تعدى الفعل «أضاف» بالباء، والأصل «بإلى»^(١)، فصار نائبا عن نظير له يتعدى بالباء مثل «وَصَلَ».

والمعنيان: ... وصلت آتيا بماض، وأضافته إليه، إذ الإضافة وَضَلَ.

(١٠) أَنَاةً بَرَّاهَا اللهُ فِي الْحُسْنِ آتِهَ يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ^(٢)
إذ تعدى الفعل «يدين» ب«إلى»، والأصل أن يتعدى باللام^(٣)، فكان بذلك نائبا عن
مثيل له يتعدى ب«إلى» مثل «يميل».

والمعنيان: يميل إليها جاهل وحليم، ويخضعان لها.

(١١) وَلَا تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ فِي طَلَبِ الْغِنَى فَإِنَّ الْغِنَى فِي الذُّلِّ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ^(٤)
والفعل «اعترف» يتعدى باللام، فيقال: «اعترف للأمر» أي صبر، ويتعدى بالباء،
فيقال: «اعترف بذنبيه» أي أقر به، كما يَرِدُ لازما، فيقال: «اعترف فلان» إذا ذلَّ
وانقاد^(٥).

والمعنى في السياق كان يقضى أن يتعدى الفعل باللام، ويكون المراد حينئذ: لا تصبر
على الذل... أما وقد تعدى بالباء فإنه ينوب عن فعل آخر يناظره ويتعدى بهذا
الحرف مثل «رَضِيَ».

والمعنى: «لا ترضَ بالذل...» وبين «الصبر» على الشيء «والرضا» به صلة قوية.
والمعنيان: لا ترضَ بالذل، ولا تصبر عليه.

(١٢) لَهُ بَدَهَاتٌ لَا تَغِيبُ، وَغَزَمَةٌ مُؤَيَّدَةٌ، تَعْنُو إِلَيْهَا الْجَحَافِلُ^(٦)
حيث تعدى الفعل «عنا» ب«إلى»، والأصل أن يتعدى باللام^(٧)، فناب بذلك عن
مثيل له، مثل «مال». وثمة علاقة بين «العنوة»، أي الخضوع و«الميل»، فالأول يعني

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ضيف، ص ٢٦٢٦.

(٢) الديوان ج ٣، ص ٥٠٩.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دين، ص ١٤٦٧.

(٤) الديوان ج ٢، ص ١٥، وقد وَرَدَ نفسُ الفعل بذات الصورة في موضع آخر بالديوان ج ٣، ص ٨٢.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: عرف، ص ٢٨٩٩.

(٦) الديوان ج ٣، ص ١٢٦.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان ج ٣، ص ١٢٦، ١٢٧.

الخضوع والطاعة^(١)، والثاني يعنى العدول إلى الشيء والإقبال عليه^(٢)، وإطاعة الأمر (أو للشخص) إقبال عليه.

والمعنيان: . . . تميل إليها الجحافل، وتخضع لها.

(١٣) فَلَا تَسْأَلْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ وَلَا تَسْأَلْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ^(٣)

والأصل: تسأل عن^(٤)، وبذا ناب الفعل عن نظير له يتعدى بـ «على» مثل «يقف». وبين الفعلين «سأل» و«وقف» ارتباط، ففي السؤال عن الشيء استخبار عن أمره^(٥)، وفي الوقوف عليه فهم له وتبين لحقيقته^(٦).

والمعنيان: فلا تقف على (هذا الأمر)، ولا تسأل عنه.

☆ الصورة الرابعة:

أفعالٌ تتعدى في الأصل اللغوى بحرف جزّ، وتردُّ في السياق متعدية بنفسها.

وقوام هذه الصورة سبعة مواضع:

(١) طَفَّتِ الْبِلَادُ، وَجُرْزَتْ الْعِبَادُ، قَلَمٌ أَرْكَنَ لِحُلٍّ، وَلَمْ اجْتَنَحْ إِلَى سَكْنٍ^(٧)

فالفعل «طاف» يتعدى بالباء، وبـ «على»، وبـ «في»، فيقال: طاف بالقوم وعليهم. . . وطاف حول الشيء. . . وطاف في البلاد. . .^(٨)، أى أن الفعل كان ينبغى أن يتعدى في السياق السابق بـ «في» ولكنه تعدى بنفسه، فصار نائباً عن فعل آخر مثل «زار»، ويكون المعنى: «زرت البلاد»، وفي «الزيارة» طُوفَ أو «تَطَوَّفَ».

والمعنيان: زرت البلاد وطفقت بها (أو حولها. . .)، ومن الممكن أن يكون لفظ

«البلاد» منصوباً على نزع الخافض.

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: عنا، ص ٣١٤٤.

(٢) المرجع السابق مادة: ميل، ص ٤٣٠٩.

(٣) الديوان ج٤، ص ١٢٤.

(٤) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ١٢٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: سأل، ص ١٩٠٧.

(٦) المرجع السابق مادة: وقف، ص ٤٨٩٩.

(٧) الديوان ج٤، ص ٨٠.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، مادة: طوف، ص ٢٧٢٢، ومادة: طيف، ص ٢٧٣٩.

(٢) إذا ارتاب أمرًا الهَيْثَةُ حَفِيظَةٌ ثَبِتَ الرِّفَا بِالشُّغْطِ. وَالْجَنَمُ بِالْجَهْلِ^(١)

والفعل «ارتاب» يتعدى بالياء ويكون بمعنى أَثَمَمَ، ويتعدى به في «ويصير معناه: شك»، وقد يتعدى بنفسه، فيقال: ارتبت فلانًا، أي: اتهمته^(٢).

وقد تعدى في البيت بنفسه، إلا أن معناه حين يتعدى بنفسه لا يتواءم مع معنى البيت، لذا فإنه كان يجب أن يتعدى به في «، أي: إذا شك في أمر». فالفعل ارتاب - في البيت - ينوب عن آخر يتعدى بنفسه مثل «خاف» أو «خشى»، أي: إذا خاف أمرًا... وبين الشك والخوف صلة نفسية وثيقة.

والمعنيان، إذا خاف أمرًا وشك فيه....

(٣) فِيهَا بَرَقُ حَدَثِي، وَأَنْتَ مُصَدِّقُ

عَنِ الْأَلِ وَالْأَضْحَابِ مَا قَعَلُوا يَغْدِي

وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي جِلَالَهَا

جَدَلُولُ يُسْدِيهَا الْقَمَامُ بِمَا يُسْدِي^(٣)

فالفعل «يُسْدِي» يتعدى به إلى «من السُدَى وهو المعروف^(٤)»، وقد تعدى في البيت بنفسه نائبًا عن نظير له مثل «يعطى»، والفعالان بمعنى واحد، فالأفعال «أسدى وأولى بمعنى». يقال: أسديت إليه معروفًا أسدي إسداء^(٥).

إذن فالعلاقة بين الفعلين - الوارد في السياق والمنوب عنه - علاقة ترادف، وحضور الفعلين في السياق يؤكد المعنى ويقويه. ومعلوم أن أسدى من حيث المعنى من أفعال المنح، لأنها من أخوات أعطى، فتنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ويغلب تعدىها به إلى، وقد وردت في هذا السياق متعدية بغير إلى.

(٤) أَمِينٌ عَلَى فَهْبِ الضُّبَيْقِ إِذَا وَثَتْ

عُهُودُ أَنَا سِي، أَوْ تَطَرَّقَهَا فَتَرُ^(٦)

حيث إن الفعل «تَطَرَّقَ» يتعدى أصلاً به إلى^(٧)، فناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه مثل «أصاب» أو «لحق»، وبين الفعلين علاقة ترادف.

(١) الديوان ج٣، ص ٨١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ريب، ص ١٧٨٨.

(٣) الديوان ج١، ص ٢٠٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة، سدا، ص ١٩٧٩.

(٥) المرجع السابق مادة، سدا، ص ١٩٧٩.

(٦) الديوان ج٢، ص ٦٧.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة، طرق، ص ٢٢٦٥.

(٥) فَقَرَّبَ لِي الْحَيِّزَ الَّذِي أَنَا رَاجِبٌ وَبَاعِدْنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَادِرٌ^(١)

إذ إن الفعل «بَاعَدَ» يتعدى - في الأصل - بـ«عن» و«بين»^(٢)، وقد ناب في البيت عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل «وَقَى»، والتقدير: «قَبِنِي الشَّرَّ...». وبين المباعدة (أو البعاد) والوقاية ارتباط في المعنى.

(٦) أَشْتَأَقُ نَجْدًا وَسَاكِنِيهِ وَأَيْنَ مَنَى الْغَدَاةَ نَجْدًا؟^(٣)

فالفعل «أشْتَأَقُ» يتعدى - في الأصل - بـ«إلى»، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه وينظره في المعنى مثل «أَحَبُّ». والصلة واضحة بين الفعلين، «فالشوق» لا يكون إلا عن «حُبٍّ»، فالعلاقة بين الفعلين علاقة سببية، أي أن أحدهما «الحب» مُسبب للآخر «الشوق». ويمكن أن يكون اللفظ «نجدًا» منصوبًا على نزع الخافض. (٧) إِذَا اشْرَبْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةِ بَدْرُوا قِضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَزْتَدَ الْمَاعِي^(٤)

والفعل «بَدَرَ» يتعدى أصلًا بـ«إلى»^(٥)، وقد ناب هنا عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل «أَتَمُّ».

والعلاقة بين الفعلين تكمن في أن الدور إلى الشيء يعني الإسراع إليه^(٦)، وإتمام الشيء يعني بذل الوقت والجهد في سبيل إكماله، فالهمة والعزم يجمعان بين المعنيين. والمعنيان: ... أسرعوا إلى الشيء وأتموا تنفيذه.

☆ الصورة الخامسة:

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى مفعولين:

وتجئ هذه الصورة في موضع واحد هو:

أَغَالِطُهُ قَوْلِي، وَأَمَحَضُهُ الْوَفَا كَأَنِّي بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمٍ^(٧)

(١) الديوان ج٢، ص ١٣٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: بعد، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) الديوان ج١، ص ٢٥٩.

(٤) الديوان ج٢، ص ٢٦٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: بدر، ص ٢٢٨.

(٦) المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٧) الديوان ج٣، ص ٢٨٩.

فالفعل «غالط» يتعدى في الأصل إلى مفعول به واحد^(١)، ولكنه تعدى في الموضع السابق إلى مفعولين هما: الهاء في «أغالطه» وقول في «قولى»، والمعنى أخدعه بقولى. والعلاقة بين الفعلين «أغالط» و«أخدع» تأتي من حيث إن أولهما يدل على الانحراف عن الصواب^(٢)، وثانيهما يشير إلى إظهار شيء مخالف لما يُخفيه المرء^(٣)، أى أن كلاً الفعلين يعنى الابتعاد عن «المثالية» في السلوك والتعامل.

☆ الصورة السادسة:

أفعال ترد بمعنى أفعال أخرى:

وعدد مواضع هذه الصورة أربعة عشر موضعاً:

(١) وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا بَشَرُهُ مِنْ الْعَيْشِ مِمَّا يَتْرُكُ الشَّهْدَ عُلْقَمًا^(٤)

فقد ورد الفعل «يترك» بمعنى فعل آخر أكثر ملاءمة منه في سياق البيت، وهو «يجعل»، أى: هَمَّا يَجْعَلُ الشَّهْدَ عُلْقَمًا. «والتَّركُ، الجَعْلُ في بعض اللغات»^(٥).

فالعلاقة بين الفعلين «يترك» و«يجعل» علاقة ترادف في الاستعمال.

(٢) تَرَى لِحْوَابِهَا إِزْبَرًا، كَانَهَا خَلَايَا تَغْنُثُ فِي جَوَانِبِهَا النُّخْلُ^(٦)

فالأزبَرُ، وهو صوت غليان القِدْر^(٧)، لا يُرى ولكن يُسمع، إذن فالفعل «ترى» بمعنى «تسمع»، والفعل بهذا يدل على شدة اضطراب الحمر في قدرها، ذلك أن الرؤية أشد تأثيراً في النفس وأكثر التصاقاً بالذهن من السمع. ويلاحظ أن الفعلين «ترى» و«تسمع» حسيان ينبعان من حاستى البصر والسمع عند الإنسان، فبينهما اتصال وارتباط وثيقان.

ويتكرر هذا الفعل «ترى» بكل دلالاته مرة أخرى في قوله:

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: غالط، ص ٣٢٨١.

(٢) المرجع السابق مادة: غالط، ص ٣٢٨١. وقد ورد الفعل «غالط» متعدياً بنفسه إلى مفعول به واحد في موضعين: ٣-٢٨٩، و ٣-٣٠١.

(٣) المرجع السابق مادة: خدع، ص ١١١٢.

(٤) الديوان ج ٣، ص ٣٩٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ترك، ص ٤٣٠.

(٦) الديوان ج ٣، ص ٤١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: أزبر، ص ٧٢.

ترى بَيْنَهُمْ - يَا فَرْقَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ - لَهَيْبَ صِيَاحِ بَضْعَدُ الْفَلَكِ الْعَالِي (١)

والمعنى تسمع صياحًا كاللهيب، ومفعول «ترى» التي بمعنى تسمع في هذا البيت، هو في الأصل الصياح بالطبع، ولكن الشاعر عمَدَ إلى صورة المضاف والمضاف إليه للمبالغة، فبدلاً من أن يقول: تسمع صياحًا ملتهبًا قال: ترى لهيبَ صياح، فالرؤية تكون للهيب لا للصياح، لأن الصياح يُسمع ولا يُرى.

(٢) لَمْ يَنْظِمِ الْخَوْشَى عَجْبًا بِهِ وَلَمْ يُسَمِّ الْوَزْدَ بِالْحَوْجِمِ

لِكِنَّهُ رَاَزَ الْحِجَا، فَاکْتَفَى بِوَأَضِحِ الْقَوْلِ عَنِ الْمُعْجَمِ (٢)

فالمقصود من قوله: (فاكتفى بواضح القول عن المعجم) أن الممدوح قد أثر الكلام الواضح السهل وقنع به، وترك الغامض والمستبهم ونَقَرَ منه. إذن الفعل «اكتفى» يأتي بمعنى فعل آخر يماثله في المعنى مثل «استغنى» وهو مرادف (٣).

وقد يكون الفعل «اكتفى» بمعناه - باعتبار أن في الكلام حذفًا - ويصبح التقدير: فاكْتَفَى بواضح القول مستغنيًا عن المعجم.

(٤) كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا فَاکْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلًا (٤)

فلم يرد الفعل «اكتسى» بمعناه الأصلي، وإنما وَرَدَ بديلاً عن فعل آخر مثل «استبدل» (٥)، وهو أكثر دلالة على المعنى المراد، ودليل ذلك «الباء» التي تلزم هذا الفعل وتدخل على المتروك، وهو - في السياق - العلم.

وبين «اكتسى» و«استبدل» صلة في المعنى، فالكسوة ما هي إلا استبدال حالة بأخرى، أي استبدال الكسوة بالعرى.

(٥) مُخَادِعَنَا الثُّنْيَا، فَتَأْلَهُو، وَتَمْ نَحْلُ بِأَنْ الرَّذَى حَنَمَ عَلَى الْحَيَوَانِ (١)

فالفعل «نخال» المجزوم بـ«لم» - وهو في الأصل بمعنى حسب أو ظن - يأتي هنا

(١) الديوان ج٣، ص ٢٥٠.

(٢) الديوان ج٣، ص ٥٥٨.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٥٥٨.

(٤) الديوان ج٣، ص ٢٦٠.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٢٦٠.

(٦) الديوان ج٤، ص ١٠٢.

بمعنى «نتيقن»^(١)، فالدنيا تخدع الإنسان فلا يتيقن بأن الموت محتوم على كل كائن حتى الحيوان. ويرد نفس الفعل بمعناه السابق في قوله:

وأصدعُ الخضمَ، وما خلّنتى أضدعُ إلا البطل الأصيداً^(٢)

فالفعل «خال» كما يأتي بمعنى «ظن» يجيئ أيضاً بمعنى عَلِمَ^(٣)، وعلى ذلك فالمعنى في السياق: «وما علمتني أصدع إلا البطل الأصيدا».

(٦) إن خلّ أرضاً حتى بالشيف جانيتها وإن وعى نبأة من صارخ زكبا^(٤)

إذ إن الفعل «وعى» - ومعناه: حَفِظَ وَفَهِمَ وَقَبِلَ^(٥) - قد ورد هنا بمعنى «سمع»^(٦)، ودليل ذلك المفعول به الذي تلاه «نبأة»، ومعناها الصوت الخفى^(٧).

وربما تكون العلاقة بين الفعلين «وعى» - وهو الفعل المذكور - و«سمع» - وهو الفعل المراد - مردّها أن في «سماح» الشيء فَهَمًا للمراد منه، و«الفهم» أحد معاني الفعل «وعى».

(٧) تَشْرِكُ الْمَاءَ لَا يَسُوغُ لِظَامٍ وَتَرْدُ الدَّمِ الْحَرَامَ مَبَاحًا^(٨)

فالفعل «ترد» يأتي في السياق بمعنى «تجعل».

ويمكن أن نتبين العلاقة بين الفعلين - الوارد والمراد - ببيان أن معنى «الرد: صَرَفَ الشَّيْءَ وَرَجَعَهُ»^(٩)، ومن المصدر الأخير «يقال: أرجع الله همه سرورًا؛ أى أهبل همه سرورًا»^(١٠)، أى أن الفعل «رد» يعود - في النهاية - إلى معنى التبديل الذي يعنى «تغيير

(١) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ١٠٢.

(٢) الديوان جا، ص ٢٧٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة، خيل، ص ١٣٠٤.

(٤) الديوان جا، ص ١١٦.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة، وعى، ص ٤٨٧٦.

(٦) انظر شرح البيت بالديوان جا، ص ١١٦.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة، نبأ، ص ٤٣١٦.

(٨) الديوان جا، ص ١٧٥.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ردد، ص ١٦٢١.

(١٠) المرجع السابق مادة، رجع، ص ١٥٩١.

الشيء عن حاله»^(١)، وهو ما يتفق مع معنى الفعل المراد من سياق البيت، وهو «تجعل» الذي يقصد به التحويل، أى التغيير من حالة إلى أخرى.

فبين «ترد» و«تجعل» ترادف غير مباشر.

(٨) لَعَلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ نَوْعَةَ مِنَ التَّوَجِدِ، أَوْ يُقْضَى بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ^(٢)

فالفعل «يقضى» فى البيت بمعنى «يذهب»، أى يذهب بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ، يريد: يهلكه.

وثمة علاقة بين الفعلين، إذ الفعل «قضى» فى اللغة على ضروب، كلُّها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتاممه^(٣)، ومنه القاضية، أى الموت^(٤)، ويقال أيضًا: قد قضى فلان، أى مات ومضى^(٥).

أما «ذَهَبَ بِهِ» فبمعنى أزاله^(٦)، أى أن انقطاع الشيء يعنى إزالته، فالفعلان بمعنى واحد.

(٩) نَوَّلَا اتِّقَاءَ الْحَيَاءِ لَاعْتَضَّتْ بِأَلْجَمِ هَيْأَمًا يَحِيقُ بِالْجَدِّ^(٧)

فالفعل «اعتاض» بمعنى «استبدل»^(٨)، ودليل ذلك دخول «الباء» على المتروك وهو «الجم».

والعلاقة بين الفعلين واضحة، إذ يقال: «اعتاضه مِنْهُ واستعاضه وتعوَّضه كُلُّهُ: سأل العَوْضَ»^(٩)، كما يقال: «عُضْتُ فَلَانًا وَأَعْضْتُهُ وَعَوَّضْتُهُ: إِذَا أُعْطِيَتْهُ بَدَلًا مَا ذَهَبَ مِنْهُ»^(١٠). والعَوْضُ: الْبَدَلُ^(١١).

(١) المرجع السابق مادة، بدل، ص ٢٣١.

(٢) الديوان جا، ص ٢١٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: قضى، ص ٣٦٦٦.

(٤) المرجع السابق مادة: قضى، ص ٣٦٦٥.

(٥) المرجع السابق مادة: قضى، ص ٣٦٦٦.

(٦) المرجع السابق مادة: ذهب، ص ١٥٢٢.

(٧) الديوان جا، ص ٢٤٩.

(٨) انظر شرح البيت بالديوان جا، ص ٢٤٩.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، مادة: عوض، ص ٣١٧١.

(١٠) المرجع السابق مادة: عوض، ص ٣١٧٠.

(١١) المرجع السابق مادة: عوض، ص ٣١٧٠.

أما الفعل المراد في سياق البيت وهو «استبدل» فيقال فيه: «تَبَدَّلَ الشَّيْءُ وَتَبَدَّلَ بِهِ وَاسْتَبَدَّلَهُ وَاسْتَبَدَّلَ بِهِ، كَلَهُ: أَخَذَ مِنْهُ بَدَلًا»^(١).

فالفعلان يعنيان - في النهاية - إحلال شيء محل آخر.

(١٠) أَيُّهَا السَّاهِرُونَ حَوْلَ وَمَادِي لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَذَكَّرُوا لِي نَجْدَا

.....

وَتَسِيمًا إِذَا سَرَى ضَوْعَ الْأَفَاقِ فَاقِ مِسْكَ، وَعَطَّرَ الْجَوَّ نَدَا^(٢)

إذ إن الفعل «ضَوْعَ» بمعنى «ملاً» و«ضوع» - في الأصل اللغوي - يعني حَرَكَ وَهَيَّجَ^(٣).

والصلة بين الفعلين «ضَوْعَ» و«ملاً» أن تضوع الريح يعني انتشار رائحته، وهو ما يتفق تمامًا مع معنى امتلاء الأفاق بالمسك، إذ يقال «ضاع المسك وتضوع وتضيع» أي تحرك فانتشرت رائحته»^(٤).

(١١) شَدَّتْ رِجَاجَةَ فِكْرِي، فَازْتَمَنَتْ بِهَا عَلَيَاكَ مِنْ مَنْطِقِي فِي نَوْحِ تَصْوِيرِ^(٥)

وارتسم - هنا - بمعنى «رسمت وصورت»^(٦). والصلة بين الفعلين أن ارتسم يعني امتثل، كما يعني كَبَّرَ وَدَعَا^(٧)، وامتثل الشيء يعني - فيما يعني - تَصَوَّرَهُ^(٨).

من هنا يبدو معنى امتثل الذي تشير بعض دلالاته إلى معنى التصوير، وبذا تبرز العلاقة بين الفعلين المذكور والمراد.

(١٢) فَكَمْ سَمَلُوا عَيْنًا بِهَا تَبَصَّرَ الْفَلَاحُ وَشَلُّوا نَدَا كَانَتْ بِهَا زَايَةُ النَّضْرِ^(٩)

فالفعل «شل» بمعنى «قطع»، لأن هذا الفعل يتعدى بالهمزة فيقال: أَشَلَّ (اللهُ)

(١) المرجع السابق مادة: بدل، ص ٢٣١.

(٢) اللحيان ج٢، ص ٢٧٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: ضوع، ص ٢٦٢٠.

(٤) المرجع السابق مادة: ضوع، ص ٢٦٢٠.

(٥) اللحيان ج٢، ص ٣٨.

(٦) انظر شرح البيت باللحيان ج٢، ص ٣٨.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: رسم، ص ١٦٤٦.

(٨) المرجع السابق مادة: مثل، ص ٤١٣٥.

(٩) اللحيان ج٢، ص ٥٨.

يَدَهُ^(١). والفعالان بينهما صلة قوية، إذ إن أحد معاني الشلل «القطع»^(٢).

(١٣) تَقَلَّدْتُ مِنْ جَمَانِ الشُّهْبِ مَنْطِقَةً مَفْقُودًا بِوَشَّاحٍ غَيْرِ مِقْلَاقٍ^(٣)

والفعل «تقلد» - في الأصل - يأتي في قوله: تقلد السيف، أى حمله، وتقلدت المرأة أى وضعت القِلادة في عنقها^(٤).

«وتقلد» - هنا - بمعنى «ليس»، ودليل ذلك المفعول به «مِنْطِقَةٌ»، إذ يقال: «أَنْتَطَقَ الرَّجُلُ أَي لَيْسَ الْمِنْطِقَ وَهُوَ كُلُّ مَا شَدَّدْتَ بِهِ وَسَطَكَ»^(٥).

فالفعالان «تقلد» و«ليس» يشيران إلى معنى واحد.

(١٤) بَيْنَا تَرَاهُ كَالزَّلَالِ لَطَافَةً

أَوْ كَالثَّرَابِ يَهِيلُ مِنْ عَقْدَاتِهِ أَوْ كَالهَوَاءِ يَجُولُ فِي آفَاقِهِ^(٦)

فالفعل «هَالٌ» يتعدى بـ«على» فيقال هَالٌ عَلَيْهِ التراب هَيْلًا كما يتعدى بنفسه كما في قوله: هَالَ الرَّمْلُ أَي دفعه^(٧). والفعل المطاوع في الحالين «انهال»، وهو المراد من سياق البيت^(٨).

والصلة بين الفعلين واضحة، فالفعل المقصود هو مطاوع المذكور.

وتتضح في تلك الظاهرة العلاقة بين الأفعال المذكورة في السياق الشعري والأخرى المقصودة، وهذه العلاقة تقوى - أحيانًا - إلى الحد الذي يكون فيه الفعل المقصود هو المرادف من حيث الاستعمال اللغوي للفعل المذكور، وتضعف - في بعض الأحيان - حتى إنه ليبدو أنه ليس ثمة علاقة بينهما، ولكن بالبحث في معاني الفعل المذكور نجد المعنى القريب من مثيله المقصود، ثم بالبحث مرة أخرى في هذا المعنى القريب يتضح المراد. وتتباين العلاقة بين الفعل المذكور والآخر المراد على النحو التالي:

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة: شلل، ص ٢٣١٦.

(٢) المرجع السابق مادة: شلل، ص ٢٣١٦.

(٣) الديوان ج٢، ص ٣٢٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: قلد، ص ٣٧١٨.

(٥) المرجع السابق مادة: نطق، ص ٤٤٦٣.

(٦) الديوان ج٢، ص ٣٤٦.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: هيل، ص ٤٧٣٨، ٤٧٣٩.

(٨) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٣٤٦.

(١) الترادف التام بين المذكور والمراد: كما في الأفعال بسدى / يعطى، ويترك / يجعل، واكتفى / استغنى، واعتاض / استبدل، وأودع / ترك، وفاق / علا، وتمل / تمتع.

(٢) الترادف غير التام بين المذكور والمراد: كما في الفعلين «ترده» و«تجعل»، فالرُدُّ يعنى رجوع الشئ، والإرجاع يعنى الإبدال، أى أن الفعل «رَدَّ» يشير إلى معنى التبديل والتغيير، وهو ما يتفق مع مدلول الفعل «جعل».

ويتضح هذا الترادف غير التام بين الفعلين «بنى» و«يحكى»، فينبئ - في الأصل - معناه يخبر، وفي «الحكاية» إخبارًا.

(٣) وجود علاقة السببية بين المذكور والمراد: بمعنى أن أحدهما سبب للآخر، كما في الفعلين «تألم» و«تحمل»، والتألم لا يحدث إلا بعد تحمُّل، وفي الفعلين «اشتاق» و«أحب»، فالشوق لا يكون إلا عن حب، وكذلك في الفعلين «يصبو» و«يغرم»، فمن معانى الصبا الميل إلى الشئ والشوق إليه، والمرء لا يميل إلى الشئ إلا إذا أغرم به.

(٤) اشتراك المذكور والمراد في الدلالة، ومثال ذلك «القوق» و«المبادلة»، فالقوق قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعنى أخذ شئ مكان آخر.

وتتضح فكرة الاشتراك في الدلالة في الفعلين «اكتسى» و«استبدل»، ففي الكسوة استبدال حالة بأخرى، أى استبدال الكسوة بالغزى، وفي الفعلين «تسأل عن» و«تقف على» فالأول يعنى الاستفهام عن أمر ما، والثاني يشير إلى الوقوف على أمر محدد بهدف فهمه.

ويُبرزُ هذه الفكرة أيضا الفعلان «ارتاب» و«خاف»، فالأول يعنى الشك والالتام، والآخر يعبر عن شعور نفسي معين، والفعلان «أغالط» و«أخدع» من حيث إن أولهما تشير دلالاته إلى الابتعاد عن الصواب، بينما يعنى الثاني الانحراف عن الطريق السوى في المعاملة.

كذلك يُظهر هذه الفكرة الفعلان «باعده» و«وقى». اللذان يشيران إلى معنى التجنب والوقاية.

(٥) الارتباط المثالي بين المذكور والمراد، كما في الفعلين «وعى» نبأة أى: سمع

نبأة. فهو يفترض أن النبأة (أى الصوت الخفى) قد سُمِعَتْ وفُهِم المرادُ منها، ومن هنا تبدو المثالية بين الفعلين.

(٦) الارتباط العكسي بين المذكور والمراد، كما في «ترى» بمعنى «سمع»، فالعلاقة بين الفعلين علاقة عكسية، فأولهما مصدره حاسة الإبصار، والآخر مصدره حاسة السمع.

(٧) الارتباط الجزئي بين المذكور والمراد، ومثال ذلك الفعلان «شل» و«قطع»، فالقطع أحد معانى الشلل.



إحصاء لظاهرة التناوب بين الأفعال في ديوان البارودي؛

الصورة الأولى؛

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بنفسها، وتتعدى في السياق بحرف جر؛

(عشرة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
أُودِعَ	تَرَكَ	أَفْتَرَسَ	هَوَى
تَفُوقُ	تَطْفَى	تَمَلَّ	تَمَنَعُ
يمر	يردُّ	أَدْعُو	أَصِيحُ
تأمل	انظُرْ	أَرَأِيقُ	أَجِنُّ
يهوى	يَقْصَى	اضْطَجِبْ	أَقْتَرِنُ

الصورة الثانية؛

أفعال في الأصل اللغوى لازمة، وترد في السياق متعدية؛

(فعلان)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
تَأَلَّمَ	تَحَمَّلَ	تَجَافَى	هَجَرَ

الصورة الثالثة؛

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره؛

(ثلاثة عشر فعلاً)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
يُنْبئُ	يُحْكِي	تُفْصِرُ	تُزْرِى
يَضْبُو	يُغْرِمُ	أَصَافُ	وَهْلُ
أَمْتَعُ	أَمْلَأُ	يَدِينُ	يَمِيلُ
ملك	عَرَّرَ	تَعْتَرِفُ	تَرْضَى
أَغْرَى	أَوْقَعَ	تَغْنُو	تَمِيلُ
أَغْرَى	حَرَصَ	تَسْأَلُ	تَقْفُ
ستفيد	بَادَلُ		

الصورة الرابعة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - بحرف جر، وتَرُدُّ في السياق متعدية بنفسها:

(سبعة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المذكور	الفعل المذكور	الفعل المذكور
طَافَ	بَاعَدَ (بَاعَدُنِي)	زَارَ	ارتاب
يُسَدِّي	اشْتَأَقَ	خَافَ	يُغْطِي
تَطَرَّقَ	بَدَرَ	أَصَابَ	

الصورة الخامسة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوى - إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى

مفعولين:

(فعل واحد)

الفعل المذكور	الفعل المذكور
أَخَذَعَ	أَغَالَطَ

الصورة السادسة:

أفعال تَرِدُ بمعنى أفعال أخرى:

(أربعة عشر فعلاً)

الفعل المذكور	الفعل المذكور	الفعل المذكور	الفعل المذكور
يَذْهَبُ	يَقْضِي	يَجْعَلُ	يَشْرِكُ
اسْتَبْدَلُ	اعْتَاضَ	تَسْمَعُ	تَرَى
مَلَأَ	صَوَّعَ	اسْتَغْنَى	اكتفى
صَوَّرَ	ارْتَسَمَ	اسْتَبْدَلُ	اكتسب
قَطَعَ	سَلَّ	تَتَبَّقَنُ	تخال
لَبَسَ	تَقَلَّدَ	سَمِعَ	وعى
يَنْهَالُ	يَهِيلُ	تَجْعَلُ	تَرُدُّ

ثانياً: التناوب بين الأسماء:

تعد ظاهرة التناوب بين الأسماء من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في شعر البارودي، ونعني بهذه الظاهرة ورود اسم في السياق الشعري بديلاً عن نظير له. ولا يعنى ذلك أن أى اسم من الأسماء يَضْلُحُ لأن ينوب عن غيره، إذ لا بد أن تكون هناك مشابهة أو علاقة بين الاسم النائب الوارد في السياق والآخر المنوب عنه.

وتتضح تلك الظاهرة على النحو التالي:

(١) «الدمع» بمعنى «الدمع»:

ويرد هذا في اثني عشر موضعاً.

يقول:

هَوَى كَضْمِيرِ الزَنْدِ، لَوْ أَنَّ مَدْمَعِي تَأَخَّرَ عَنِ سَقِيَاهُ لَأَخْتَرَقَ الضَّنْدُ^(١)

أى: لو أن دمعى تأخر عن سقيه... .

«والمَدْمَعُ: مَسِيلُ الدَّمْعِ»^(٢)، وهو أيضاً «مُجْتَمِعُ الدَّمْعِ فِي نَوَاجِي الْعَيْنِ»^(٣) والمدمع اسم مكان من «دَمَع» المفتوح العين في المضارع، أى أن اسم المكان «الدمع» قد ورد في السياق بمعنى الاسم «الدمع». ويأتى جمع كل من الاسم النائب والآخر المنوب عنه كما يلي:

«المدامع» بمعنى «الدموع»:

وقوام ذلك سبعة مواضع.

(١) كَانَ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعَ تَجُولُ بِخَدِّ، أَوْ جَمَانَ عَلَى تَبْرِ^(٤)

يريد: كَانَ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ دَمُوعَ^(٥).

(٢) «الماقي» بمعنى «الدموع»:

يقول:

تَلُومِيْنِي عَلَى غَبَرَاتِ عَيْنِي؟ وَلَوْلَا الْحَبُّ لَمْ تَجْرِ الْمَاقِي^(٦)

(١) الديوان ج٢، ص ١٤٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دمع، ص ١٤٢٢.

(٣) المرجع السابق مادة: دمع، ص ١٤٢٢.

(٤) الديوان ج٢، ص ٤.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٤.

(٦) الديوان ج٢، ص ٣٢٣.

فالماقئ هي أطراف العين مما يلي الأنف، ومفردها «المَاقئ» أو «المُوقئ»^(١). ونلاحظ في المواضع السابقة ارتباطاً قوياً بين الاسم المذكور والآخر المراد، فالألفاظ: الدمع والمدامع والمَاقئ تعنى في الأصل مجرى الدمع من العين، ولكنه يُراد بها الدمع «أو الدموع»، والعلاقة بين هذه الأسماء النائية والأخرى المنوب عنها علاقة مكانية، فاللفظ يدل - أساساً - على المكان، ولكنه في السياق يشير إلى الاسم ذاته.

(٣) «اللحظ» بمعنى «العين»:

هو:

فَتَاءَ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَ لِحْظَهَا
 لِيَهْتِكَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ بِهِ عَمْدًا^(٢)
 هي «كأن الله صور عينها».
 ويأتى المثنى في قوله:

حَوَاجِبُهَا الْقَيْسِيُّ، وَلِحْظَتَاهَا
 يَهِدُ... وَعَيْنَاهَا يَمَا سَهْمَانِ.
 ويريد... وعيناها يهما سهمان.
 والجمع في قوله:

هَذِي لِحَاظُ الْعِيدِ بَيْنَ شِعَابِكُمْ
 فَتَكْتُ بِنَا حَلَسَا بِعَيْنِ مَهْنَدٍ^(٤)
 إذ «اللحاظ» مصدر لاحظته إذا راعيته، ويرى بعضهم أن لِحَاظَ العين مؤخرها مما يلي الصَّدغ^(٥).

وقد تُثنى اللحظ - وهو مصدر يعنى النظر بمؤخر العين - ثم جمع على لحاظ. ويلاحظ أن كل المواضع التي ورد فيها اللفظ ومثناه وجمعه في التغزل في الحبيبة ووصفها.

(٤) الجفن بمعنى العين:

يقول:

أَقُولُ وَالْجَفْنُ يَكْسُو نِجَادَهُ
 دُمُوعًا كَمُرْقُضِ الْجَمَانِ مِنَ الْعِيدِ

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ماق، ص ٤١٢١.

(٢) الديوان جا، ص ٢٦٦.

(٣) الديوان ج٢، ص ١٧٩.

(٤) الديوان جا، ص ١٩١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة، لحظ، ص ٤٠٠٨، وانظر شرح البيت بالديوان.

لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْنًا عَلَى الذُّهْرِ مَرَّةً فَمَا لِي لِرَاكِ الْيَوْمِ مُنْتَلِمًا الْخَدَّ؟^(١)

والجفن غطاء العين من أعلى وأسفل^(٢)، وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما يقصد بالجفن العين^(٣)، ودليل ذلك ورود الفعل «يكسو» والاسم الواقع مفعولاً به «دموعاً»، فالجفن لا يكسو نجاد السيف - أى حمائله - دموعاً، إنما هي العين. والعلاقة بين الاسم الوارد في السياق الشعري والآخر المنوب عنه واضحة وظاهرة، فاللحظ يصدر من العين، والجفن جزء منها، فالعلاقة بين اللفظين علاقة مكانية.

(٥) «الضدى» بمعنى «الكلام»؛

يقول:

بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أَفْهَمْ صَدَاها وَقَدْ يَبْخَى مِنَ الطَّرْبِ الْغَرِيبِ^(٤)

وذكر الضدى بدلاً من الكلام يدل على أن الباكية التي يتحدث عنها كان بكاءها يدوى في الأرجاء، ويقوى هذا أن بكاءها كان بالليل. فهذا أبلغ مما لو قال: أفهم كلامها، إذ «الضدى» ما يُجيبك من صوت الجبل ونحوه بمثل صوتك^(٥).

(٦) «الدجى» بمعنى «الليل»؛

خَلِيئِي، هَلْ طَالَ الدُّجَى؟ أَمْ تَقْنَيْتُ كَوَاكِبُهُ، أَمْ ضَلَّ عَنْ تَهْجِهِ الْعَدُّ^(٦)

والدجى: «الظلمة، واحدها دُجِيَّة»^(٧)، والظلام من سمات الليل. إذن فقد ذكر جزءاً من مظاهر الليل - وهو الدجى - وقصد به الكل - أى الليل - وذكر الظلام لأنه يوحيش النفوس ويخيف القلوب.

(٧) «المنيسور» بمعنى «القليل»؛

يقول:

أُضِدُّ عَنِ الْمَوْفُورِ يَدْرِكُهُ الْحَقْنَا وَأَقْنَعُ بِالْمَنِيسُورِ يَغْقِبُهُ الْحَمْدُ^(٨)

(١) الديوان جا، ص ٢٥٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة: جفن، ص ٦٤٤.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان جا، ص ٢٥٤.

(٤) الديوان جا، ص ١٢٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مادة: صدى، ص ٢٤٢١.

(٦) الديوان جا، ص ٢٦٣.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة: دجا، ص ١٣٣٢.

(٨) الديوان جا، ص ٢١٣.

«الميسور ضد المعسور»، وهو «ما يُسَّر»^(١) أى ما تيسر وسَهّل. وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما المقصود بالميسور: القليل اليسير^(٢).

وعلة الإتيان بهذا اللفظ مراعاة المشاكلة اللفظية والمزاوجة بينه وبين لفظ الموفور وكلاهما بوزن مفعول، مما يحقق - في النهاية التطابق الشكلى الكامل بين شطر البيت وعجزه كما يلي:

أَصْدُ عَنِ الْمَوْفُورِ يُنْرِكُهُ الْحَنَّا وَأَفْتَعُ بِالْمَيْسُورِ يَغْقِبُهُ الْحَمْدُ

فكل من الصدر والعجز يتركب من:

فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + جار ومجرور + فعل مضارع + ضمير (مفعول به) + فاعل.

(٨) «الغَيْثُ» بمعنى «الغوث»؛

يقول:

فَنَهَارُهُ غَيْثٌ اللَّهِيْفُ وَلَيْلُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ لَيْلُ الْعُبْدِ^(٣)

فالغيث هو «المطر والكلاء»^(٤)، وليس هو المعنى المراد، أما الغيث بمعنى الغوث - وهو النجدة والإعانة - فهو المعنى المقصود^(٥) والصلة بين اللفظين أن في الغيث نجدة وإنقاذاً من المَحَلِّ والجَذْبِ.

(٩) «الضمير» بمعنى «القلب»؛

يقول:

أَبَى الشُّوقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرُ^(٦)

فالضمير «السُّرُّ، وداخل الحَاطِر»^(٧)، وهو الشيء الذي تُضْمِرُهُ في قلبك^(٨). فالعلاقة

بين الضمير والقلب - هنا - علاقة مكانية.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة، بسر، ص ٤٩٥٨.

(٢) انظر شرح البيت بالدويان ج١، ص ٢١٣.

(٣) الدويان ج١، ص ١٨٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة، غيث، ص ٣٣٢٣.

(٥) انظر شرح البيت بالدويان ج١، ص ١٨٠.

(٦) الدويان ج٢، ص ١٨.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ضمير، ص ٢٦٠٦.

(٨) المرجع السابق مادة، ضمير، ص ٢٦٠٦، ٢٦٠٧.

وتأتى الضمائر بمعنى القلوب في قوله:

وَيَا قُرْبَ مَا التَّقْتُ عَلَيْهِ الضَّمَانُ^(١)

فَيَا بُغْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي!

أى: يا قرب ما التفت عليه القلوب^(٢).

(١٠) «الرؤيا» بمعنى «الرؤية»:

يقول:

لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ تَحْمَدُ الْعَيْنَ رُؤْيَا ۚ وَلَا مِنْهُمْ إِلَى النَّفْسِ حِلٌّ^(٣)

أى: ليس فيهم من تحمد العين رؤيته.

والرؤية هي «النظر بالعين والقلب»^(٤). و«الرؤيا: ما رأيت في منامك»^(٥).

وثمة علاقة بين اللفظين من حيث دلالتهما على المشاهدة، إلا أن المعنى في الأول

يشير إلى حدوثها في اليقظة، ويدل في الثاني على وقوعها في الحلم.

(١١) «الوجد» بمعنى «الوجود والإعدام» بمعنى «العدم»:

يقول:

فَيَا مَنْ تَزْدَرِيهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعْفٍ ۚ فَمَا بَحْسُ لَهُ وَجَدٌ وَإِعْدَامٌ^(٦)

فالوجد في السياق السابق بمعنى الوجود، كما أن الإعدام - هنا - بمعنى العدم^(٧).

فالعدم هو اللاوجود.

والإعدام يعني الافتقار^(٨). والعدم معناه فقدان الشيء وذهابه^(٩) أى أن اللفظين

يشيران إلى الغناء والزوال.

ويتضح من هذه المواضع التي ناب فيها الاسم عن نظير له ارتباط الشاعر الوثيق

(١) الديوان ج٢، ص ٨٥.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٨٥.

(٣) الديوان ج٣، ص ٢٤١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: رأى، ص ١٥٣٧.

(٥) المرجع السابق مادة: رأى، ص ١٥٤٠.

(٦) الديوان ج٣، ص ٤٧٣.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٤٧٣.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة: عدم، ص ٢٨٤٢.

(٩) المرجع السابق مادة: عدم، ص ٢٨٤٢.

بالتراث الشعري وثقافته العربية الأصيلة، فالألفاظ إما مستمدة من البيئة البدوية القديمة، كما في «الدجى»، «الصدى» و«الغيث»، وإما نابعة من مواقف الحب والغرام التقليدية التي جرى عليها الشعراء مثل «المدمع» و«اللحظ» و«الضمير» و«الجفن» .
أما العلاقات بين الألفاظ الواردة في السياق والأخرى المنوب عنها فيمكن تقسيمها إلى ما يلي:

- (١) قد تكون العلاقة بين اللفظين - الوارد والمراد - مكانية، كما في «المدمع» بمعنى «الدمع»، فاسم المكان «المدمع» يرد في السياق بمعنى الاسم ذاته.
(٢) اللفظ المذكور أبلغ من مثيله المقصود، كما في «الصدى» بمعنى «الكلام»، وإن كان حدوث الأول - في الحقيقة - تاليا لوقوع الثاني.
(٣) قد تكون المشابهة بين اللفظ المذكور والآخر المراد راجعة إلى أن المعنى المقصود كائن في ثنايا اللفظ المذكور في السياق، ويبرز ذلك «الغيث» بمعنى «الغوث»، فكلاهما يشير إلى معنى النجدة والإنقاذ، و«الإعدام» بمعنى «العَدَم»، فالمعنى فيهما يدل على الزوال والفناء.

- (٤) أن اللجوء إلى لفظ بدلاً من لفظ آخر قد يأتي لتحقيق التجانس بين ألفاظ البيت والمزاوجة بين شطريه.

ثالثاً: التناوب بين المصادر

- أ- جئ المصدر نائباً عن مصدر الفعل المذكور؛
ويُقصد به أن ينوب المصدر المذكور في السياق عن مصدر الفعل الوارد في البيت، أى أن يأتي مفعول مطلق مرادفاً لمصدر آخر.
وقد وردت هذه الظاهرة في أربعة مواضع.
يقول:

(١) يَلُومُونَنِي أَنْ هَيْبْتُ وَجَدًا بِحُسْنِهَا وَأَيُّ امْرِئٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ^(١)؟

فقد ناب المصدر «وَجَدًا» عن مصدر الفعل «هَامَ» وهو «هَيْمًا»^(٢). والفعلان

(١) الديوان ج ٣، ص ٥١٠.

(٢) للفعل هَامَ مصادر أخرى، إذ يقال: هَامَ بِهَا هَيْمًا وَهَيْمًا وَهَيْمًا وَهَيْمًا وَهَيْمًا. انظر: ابن منظور؛ لسان العرب، مادة: هيم، ص ٤٧٣٩.

«وَجَدَ» و«هَامَ» بينهما صلة وثيقة، فالوَجَدُ هو شدة الحب^(١)، والهَيَامُ هو الجنون من العشق^(٢) وبدهى أنه لا يحدث إلا بعد حب شديد.

وليس أدل على قوة العلاقة بين الفعلين - وبالتالي بين المصدرين - من أنه يقال رجلٌ هَيْمَانُ أى محبٌ شديدُ الوَجْدِ^(٣). فالهَيَامُ والوَجْدُ من حقل دلالي واحد ولكن بينهما درجات متفاوتة.

(٢) بِحَلَّتْ عَلَيْنَا بِالسَّلَامِ ضَنَانَةٌ وَجَدَكَ مَطْرُوقُ الْفِنَاءِ كَرِيمٌ^(٤)

إذ ناب المصدر «ضنانة» عن مصدر الفعل «بَحَلَ».

وثمة صلة قوية بين «الضنانة» و«البَحْلُ»^(٥)، فالضنين هو البخيل^(٦)، إلا أن المعنى الكائن في المصدر «ضنانة» أقوى مما في مصدر الفعل «بَحَلَ»، فالضنُّ هو «الشيء النفيس المضمون به»^(٧)، فهو «ما تخصصه وتضمن به، أى تبخل لمكانه منك وموقعه عندك»^(٨).

وعليه فإن المحبوبة قد ضنَّتْ بالسَّلامِ، لأن سلامها شيء نفيس لا تجود به إلا على من تشاء.

(٣) نَظَرْتُ
.....

إلى نِسْوَةٍ مِثْلِ الْجَمَانِ تَنَاسَقَتْ قَرَائِدُهُ حَسَنًا، وَأَلْفَةُ الشُّمْلِ^(٩)

أى: تناسقت فرائده تناسقًا، فناب المصدر «حسنا» عن مصدر الفعل «تَنَاسَقَ» من

(١) المرجع السابق مادة، وجد، ص ٤٧٧٠.

(٢) المرجع السابق مادة، هيم، ص ٤٧٣٩.

(٣) الديوان ج ٣، ص ٥١٢.

(٤) المرجع السابق مادة، هيم، ص ٤٧٤٠.

(٥) في البخل لغات أربع: البَحْلُ، والبَحْلُ، والبَحْلُ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: بخل، ص ٢٢٢.

(٦) المرجع السابق مادة، ضنن، ص ٢٦١٤.

(٧) المرجع السابق مادة: ضنن، ص ٢٦١٤.

(٨) المرجع السابق مادة، ضنن، ص ٢٦١٤.

(٩) الديوان ج ٣، ص ٤٦.

حيث تناسق عَقْد اللؤلؤ يعني انتظام حباته في شكل واحد ونظام موحد^(١)، وبه شُبّه هؤلاء النسوة الفاتنات.

والتناسق في أى شىء لا بد أن يَتَّبَعَهُ «حُسْنٌ» فيه. و«الحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ وَنَقِيضُهُ»^(٢)، ومن الأُوَلَى أن يكون هذا الحسنُ سِمَةً في هؤلاء الحسان.

(٤) رَأَى مُقَلَّتِي تَزْعَى وَبَاضَ جَمَالِهِ فَعَاقَبَهَا حَدِيثًا بِالسُّهْدِ وَالذَّمْعِ^(٣)

إذ ناب المفعول المطلق «حدين» عن مصدر الفعل «عاقب»^(٤). والحدُّ هو ما يمنع المُذنبَ عن المعاودة^(٥)، فكان الحب ذنب حده السهد والدمع، أى هما عقاب للمحب. ومن الملاحظ أن هذه المصادر المنصوبة قد يُمكن تأويل بعضها على النصب على التمييز أو المفعول له - أيضًا.

ب- مجئ المصدر نائبا عن الحال؛

يقول:

تَدْوُرُ مَدَارَ الطُّوفَى مِنْ حَيْثُ تَلْتَقَى مَسِيرًا، وَتَنْسَلُّ انْسِلَالَ الأَرَاقِمِ^(٦)

والمعنى في قوله: «تلتقى مسيرا» أنها، أى الجداول، تتلاقى سائرة^(٧) باعتبار المصدر «مسيرا» حالاً.

والصلة أن الحال المنوب عنه «سائرة» اسم فاعل من الفعل «سار».

وقد جاز أن يَرِدَ المصدرُ نائبا عن الحال، إذ «من المصادر ما يقع في موقع الحال فيفسد مسده، فيكون حالاً؛ لأنه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه»^(٨).

(١) ابن منظور؛ لسان العرب، مادة، نسق، ص ٤٤١٢.

(٢) المرجع السابق مادة، حسن، ص ٨٧٧.

(٣) الديوان ج٢، ص ٢٣٦.

(٤) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٢٣٦.

(٥) ابن منظور؛ لسان العرب، مادة، حدد، ص ٧٩٩.

(٦) الديوان ج٣، ص ٣٤٢.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٣٤٢.

(٨) المبرد؛ المقتضب. تحقيق محمد عبدالحق عزيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٦هـ، ج٣، ص ٢٣٤.

ج- مجئ المصدر نائباً عن الصفة؛

يقول:

كُرُوحٌ وَتَغْدُو بَيْنَ أُنْثَانِ دَوْحَةٍ
سَقَاهَا مِنَ الْوَضِيِّ مُسْتَوْكِفٌ غَزْرٌ^(١)
إذ إن «غَزْرَه» مصدر للفعل «غَزَّرَه»^(٢)، وجاء هنا بمعنى «غزير»^(٣) والوصف بالمصدر - هنا - للتأكيد والمبالغة.

ويظهر من خلال ظاهرة التناوب بين المصادر وجود صلة قوية بين المصدر المذكور وما هو منوب عنه، سواء أكان مصدراً أم حالاً أم صفة.

أما الإنابة عن مصدر الفعل المذكور في السياق فقد تكون بسبب العلاقة الوثيقة بين الفعل المذكور وفعل المصدر الوارد، وبالتالي بين مصدريهما، بحيث يصلح أحدهما للإنابة عن الآخر كما في «همت وجداء».

وقد يرِدُ المصدر النائب عن مصدر آخر لأنه أكثر دلالة على المعنى المراد، من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة، كما في «بهخت ضنانه»، و«تناسقت حسنا». وقد يكون المصدر المذكور بنفس معنى المصدر المنوب عنه، كما في «فعاقبتها حدين».

ويأتى المصدر نائباً عن الحال، لأنه يؤدي دوره ويسد مسده، ويجئ كذلك نائباً عن الصفة للتأكيد والمبالغة.

رابعاً: التناوب بين الحروف؛

تتميز الحروف في الديوان بكثرتها العددية، وتنوع استخدامها، وهذه الكثرة وهذا التنوع يدلان على الثراء اللغوي عند الشاعر. والتناوب بين الحروف يشير إلى مدى القدرة على تطويع الحرف بحيث يأتي بديلاً عن حرف آخر دون إخلال بالمعنى المراد، وقد تحدث إضافة دلالات جديدة إلى هذا المعنى.

(١) الديوان ج٢، ص ٦٤.

(٢) يقال، غَزَّرَ يَغْزِرُ غَزْرًا وَغَزَّرًا، أى أن للفعل «غزره» ثلاثة مصادر. ابن منظور، لسان العرب، مادة: غزر، ص ٣٢٥١.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٦٤.

وقد نبه ابن هشام إلى أن هناك أمورًا اشتهرت بين العرب والصواب خلافها، من ذلك قولهم إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض^(١)، فيرى أن الحرف باق على معناه وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف، لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف^(٢).

ونرى أن في هذا مشقة في التضمين والتأويل، فإنه لا مانع في المجال الشعري من التجوز في الحرف، على أساس أن وجود حرف بديل عن حرف آخر في السياق قد يؤدي إلى حضور معنيين: المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيل بافتراض الحرف المقصود. ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

أولاً: الحروف أحادية البناء:

(١) الباء:

«الباء المفردة حرف جر لأربعة عشر معنى»^(٣) كما أحصاها ابن هشام في معنى اللبيب، وقد ورد نائباً عن غيره في خمس حالات في ديوان البارودي هي:

١- ورود الباء بمعنى «مع»:

يقول:

بِمَا رَوْضَةً غَنَاءَ بَاكَرَهَا الْحَيَا	بِأَوْطَفَ سَاجٍ، أَشْعَلَ الْبَرْقِ سَاجِمٍ
.....
بِالْطَفِّ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ ^(٤)

أى باكرها الحياة مع أوطف ساج، أى سحب أوطف بمعنى قريب من الأرض^(٥).
وذكر الباء بدلاً من «مع» يبرز معنى الارتباط بين الحيا (المطر) والسحاب. ووضع «مع» بدلاً من «الباء» يُظهِرُ أن ثمة مصاحبة بينهما.

فالمعنى المفهوم - وفقاً للحرف المذكور - هو الإصاق والارتباط، والمعنى المتخيل بوجود «مع» هو المصاحبة.

(١) ابن هشام، معنى اللبيب. مطبعة الحلبي، ج٢، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق ج٢، ص ١٨٠.

(٣) المرجع السابق ج١، ص ٩٥.

(٤) الديوان ج٣، ص ٣١٠، ٣١٢.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٣١٠.

ب- ورود الباء بمعنى «على» الاستعلانية؛
يقول:

لَوَيْتُ بِهِ كَفَى، وَأَطْلَقْتُ سَاعِدِي وَقَلْتُ لِبَهْرِي، وَنَكَ فَاغْمَضَ عَلَى رَضَلٍ^(١)

والمعنى الظاهر من السياق: لويت بالنصل كفى^(٢)، أى الاحتواء والضم. والمعنى المتخيل: لويت كفى على النصل، أى أمسكته بقوة.

ج- ورود الباء بمعنى «من» التي للتبويض؛
يقول:

كَيْفَ لَا تَهْتِفُ الْحَمَامُ عَلَيْهِ وَهِيَ تُسْقَى بِهِ سَلَافَةً قَنْدٍ^(٣)

أى: تُسقى منه..... أى من النيل.

والمعنى في «تسقى به» أن ثمة مساعدة من النيل ومعاونة منه في سقى الحمام. وفي «تسقى منه...» دلالة على أن هذه السلافة - وهي أفضل الخمر - هي بعض ما في هذا النيل.

د- ورود الباء بمعنى «في» الظرفية؛
يقول:

شِعْرٌ جَمَعْتُ بِهِ ضُرُوبَ مَحَاسِنٍ لَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلِي لِحَى مُلْهَمٍ^(٤)

فالمعنى على وجود الباء أن شعره هو سبب وجود هذه المحاسن، وعلى تقدير في أنه قد جمع في شعره محاسن لم تجتمع لشاعر غيره.

هـ- ورود الباء بمعنى «عند»؛
يقول:

وَيْسَ مِنْ ضَمِيمِ الْعَرَبِ حُوزَاءَ طَفَلَةٍ نَجِيلَةَ نَجْرَى الْبَنْدِ، زَيْبًا الْمَعَاصِمِ^(٥)

(١) الديوان ج٣، ص ٩١.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٩١.

(٣) الديوان ج١، ص ٢٦١.

(٤) الديوان ج٣، ص ٤٩٦.

(٥) الديوان ج٣، ص ٤٢٤.

يريد... «وعندى حوراء طفلة...».

والمعنى الظاهر من البيت أن هذه المحبوبة ملاصقة له، فهي جزء منه، والآخر المتخيل يوحى بالامتلاك والاستثثار.

(٢) الفاء:

ورود الفاء بمعنى واو العطف:

يقول:

قَفَا بِى قَلِيلًا، وَاَنْظَرَا بِي، اُسْتَقْفِي
بَلِّغْ الْحَصَى بَيْنَ اللّوَى فَالْتَمَاعِمِ^(١)

يريد: «بين اللوى والنعائم»^(٢).

والمعنى على وجود «الفاء» فيه إسراع إلى تقبيل منازل الحبيبة ولهفة إلى ذلك، وعلى تقدير «الواو» يعنى الرغبة في لثم حصى ديار الهوى دونما تمييز بينها.

(٣) اللام:

أ- ورود اللام بمعنى «إلى» الجارة:

يقول:

تَسَابَقُ فِي الْمَكَارِمِ تَغْلُ قَدْرًا
فَسَبَقُ النَّاسِ لِلْخَيْرَاتِ نَضْلُ^(٣)

وعلى وجود «اللام» فالمعنى أن سبق الناس في المكارم هو للخيرات نضل أى غلبة لها وإعلاء لشأنها، وعلى تقدير «إلى» يكون المعنى أن سبقك الناس إلى الخيرات فوز لك ونصر.

ب- ورود اللام بمعنى «على» الاستعلانية:

يقول:

نَحْنُ فِي الْحُبِّ مَوَّاءٌ
كُلْنَا يَهْكِى لِعُضْنِ^(٤)

(١) الديوان ج٣، ص ٢٩٥.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٢٩٥. وقد ذكر بعضهم أن الفاء «لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمطار». ابن هشام؛ مغنى اللبيب، ج١، ص ١٣٩.

(٣) الديوان ج٣، ص ٢١٦.

(٤) الديوان ج٤، ص ١٤١.

والمعنى الظاهر: كلنا - أى هو والحمامة - يبكى للغصن حتى يرق لنا ويشاركنا همومنا، والمعنى المتخيل: أننا نبكى ونحن على الغصن.

ج- ورود اللام بمعنى «من» التي للتبميز:

يقول:

فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ إِلَّا وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزْلٌ^(١)

وعلى وجود اللام في «للصيد في ساحاتنا نزل» فالمعنى أن ما صلدناه كان له في دورنا منزل ومستقر، وعلى تقدير «من» يكون المعنى أنه كان مما صلدناه طعام وفير وخير كثير^(٢).

د- ورود اللام بمعنى «في» الظرفية:

يقول عن الحمر:

لِعِبِّ الزَّمَانِ بِهَا ، ففَادَرَ جِسْمَهَا شَهَا تَحَارٌ لِتَرْكِ الْأَفْهَامِ^(٣)

فثمة معنيان: الأول أن حيرة هذه العقول مردها أنها تحاول معرفة الحقيقة... والثاني أن هذه العقول حائرة في إدراك هذه الحقيقة.

ثانياً: الحروف ثنائية البناء:

(١) إن:

ا- ورود «إن» بمعنى «قد» التي للتحقيق:

يقول:

وَالنَّاسُ شَتَى وَإِنْ هُمْ اجْتَمَعُوا فِي وَاحِدٍ لَيْسَ قَبْلَهُ أَحَدٌ^(٤)

إذ المقصود «بالواحد الذي ليس قبله أحد» آدم عليه السلام، وبهذا لا تكون «إن» - في هذه الحال - إلا بمعنى «قد»، ويكون التقدير: «والناس شتى وقد اجتمعوا في واحد.....»

(١) الديوان ج٣، ص ١٦٦.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ١٦٦.

(٣) الديوان ج٣، ص ٣٢٣.

(٤) الديوان جا، ص ٢٨٦.

ويقول:

رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتُ مُثْرِيًا بِعِفَّةِ نَفْسٍ لَا تَمِيلُ إِلَى الْوَفْرِ^(١)

فهذا البيت من قصيدة نظمها في منفاه بسرنديب، يؤكد فيه - من خلال التركيب المبدوء بـ«إن» - أنه كان مثرياً أي غنياً، فالمعنى: «رضيت من الدنيا وقد كنت مثرياً.....».

ب- ورود «إن» بمعنى «لَوْ» الشرطية:

والفرق بين «إن» و«لَوْ» - وهما أداتا شرط - أن «إن» تتسم بسمتين أساسيتين: الأولى: أنها تفيد الشك، أي تفتقر إلى التأكيد.

والأخرى: أنها تأتي للاستقبال، أي «لَعَدَّ السَّبِيَّةَ وَالْمَسِيْبِيَّةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ»^(٢).

أما «لَوْ» فهي تأتي للماضي، وتفيد «تقييد الشرطية بالزمن الماضي»^(٣)، كما أنها «تكون حرف شرط للمستقبل»^(٤)، إلا أن المضى فيها أوضح من الاستقبال، فهي «شرط للماضي غالباً»^(٥).

ومن أمثلة ورود «إن» بمعنى «لَوْ» قوله:

قَدْ يَزْفَعُ الْعِلْمُ أَقْوَامًا وَإِنْ تَرَبُّوا وَخَفِضَ الْجَهْلُ أَقْوَامًا وَإِنْ خَزَنُوا^(٦)

أي: ولو تربوا... ولو خزنوا.

وقوله:

دَعِ الْمَخَافَةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَهَا وَإِنْ تَحَصَّنَ لَا يَنْجُو مِنَ الْعَيْلِ^(٧)

أي... ولو تحصن...

وقد وردت «إن» بمعناها الشرطية الحقيقي في ثلاثة وتسعين ومائتي بيت..

(١) الديوان ج٢، ص ١٤.

(٢) ابن هشام، مغنى اللبيب، ج١، ص ٢٨٦.

(٣) المرجع السابق ج١، ص ٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ج١، ص ٢٠٨.

(٥) السيوطي: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع، ج٢، ص ٦٤.

(٦) الديوان ج٤، ص ٣٦.

(٧) الديوان ج٢، ص ٢٢٨.

وجاءت بمعنى «قد» في واحد وثلاثين بيتا، وبمعنى «لنوء» في ثلاثين بيتا في الديوان. ونخلص من هذا إلى حقيقتين:

الأولى: وهي خاصة، وتتمثل في تَمَسُّكِ «إن» - في الديوان - بشرطيتها وبمعناها الأصلي.

والأخرى: وهي عامة، وخلصتها أنه ليس كل ترتيب يحوى في سياقه الأداة «إن». يُعَدُّ تركيبًا شرطيًا؛ إذ الشرطية تعنى تعليق معنى على آخر، أو حدث على غيره^(١).

(٢) أَوْ:

أ- ورود «أَوْ» بمعنى واو العطف:

يقول:

فَيَا قَلْبَ صَبْرًا إِنْ أَلَمَ بِكَ النَّوَى فَكُلُّ فِرَاقٍ لَوْ تَلَاقَى نَهَ حَدٌّ^(٢)

وعلى وجود «أَوْ» بمعناها الأصلي فثمة إبهام في المعنى: هل الحد للفراق أم للتلاقى. . أما عند تقدير «الواو» فالمعنى - حينئذ - أن كلاً من الفراق والتلاقى له حد.

ب- ورود «أَوْ» بمعنى «حَتَّى»:

يقول:

فَلَا تَبْرَحُوا أَوْ تَسْأَلُوهَا، فَرُبَّمَا أَعَادَتْهُ، أَوْ جَاءَتْ بِوَعْدِ مَقَارِبِ^(٣)

والمعنى الظاهري التخيير بين أمرين، والآخر تعليق الأمر الأول على حدوث الأمر الثاني أى: فلا ترحوا حتى تسألوها^(٤).

(١) انظر، فتح الله أحمد أحمد سليمان، الجملة الشرطية في شعر البارودي. رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بأداب القاهرة، (١٩٨٢م) ص ٤، ٩.

(٢) الديوان جا، ص ٢١١.

(٣) الديوان جا، ص ١٠٧.

(٤) في هذه الحالة «تضم مع أَوْ (أَنْ) وذلك إذا كان معناها معنى حتى». الرمانى، معانى الحروف، ص ٧٩. كما يكون الفعل المضارع الواقع بعد «أَوْ» منصوباً بأن المضمرة. انظر، ابن هشام: معنى اللبيب، جا، ص ٦٤.

(٣) ما:

ورود «ما» بمعنى «مَنْ» الموصولة:

يقول:

لقد علقث ما ليس للنفس كونها غناء، ولا منها لذى صنوة وضل^(١)
و «ما» - باعتبارها اسماً موصولاً - تأتي لغير العاقل، وقد وردت في الموضع السابق
للعاقل.

والمعنى على وجود «ما» بمعناها الأصلي يفيد التعمية على هذه الحبيبة... وبمعنى
«التي» فيه تصريح بهواه.

(٤) عن:

أ- ورود «عن» بمعنى «مِنْ» الجارة:

يقول:

مضى زمن لم يأتني عنك قادمٌ يبشري. ولم يغطف عليّ بريد^(٢)
وعلى وجود «عن» بمعناها يكون المعنى: لم يأتني قادمٌ ينوب عنك ويطمئني
ببشري... وبتقدير «مِنْ»: لم يأتني رسولُ منك... ففي الأول إنابة، وفي الثاني حضورُ
رسول فحسب.

ب- ورود «عن» بمعنى «الباء» الجارة:

يقول:

سل مضر عنى إن جهلت مكائتي تُخبرك عن شرفٍ وعزٍّ أقدم^(٣)
وثمة معنيان: الأول أن مصر تحكى لك - إن سألتها - عن الشرف والعز. والآخر:
أنك إن جهلت مكائتي وسألت مصر عنى فهي تخبرك بأمرى، ثم تتجاوز ذلك إلى
إخبارك بالشرف والعز الأقدم.

(١) الديوان ج٣، ص ٤٨.

(٢) الديوان ج١، ص ٢٢٠.

(٣) الديوان ج٣، ص ٤٨٨.

(٥) مِن:

أ- ورود «مِن» بمعنى «أم» الاستفهامية،

يقول:

أُدْرُ، وَلَا أُدْرِ وَإِنْ كُنْتُ حَارِمًا يَمِينِي أَذْنِي لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا^(١)

أى: لا أدرى... يمينى أدنى للهدى أم شماليا^(٢)

وقد يكون هناك حذف لأداة الاستفهام في عَجَزَ البيت، وتكون مِن - في هذه الحالة - واردة للفصل، إذ إنها دخلت على ثاني المتضادين^(٣)، والمعنى على هذا: لا أدرى أيمنى أدنى للهدى من شماليا.

ب - ورود «مِن» بمعنى «عَن» التى للمجاورة؛

يقول:

أَنَا الَّذِي عَرَفَ الْأَيَّامَ، وَأَنْكَشَفْتُ لَهَا سِرَائِرَهَا مِنْ كُلِّ مَخْتَرَيْنِ^(٤)

والمعنى - على بقاء «مِن» بمعناها الأصلى - أن ما اكتشِفَ من المخترنات يبين هذه السرائر ويوضحها... ويتقدير «عَن» فالمعنى أن سرائر الأيام قد انكشفت عن كل ما تحتها من الخفايا والمخترنات^(٥).

ج- ورود «مِن» بمعنى «فِي» الظرفية؛

يقول:

فَلَمْ يَنْقَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ وَكَلْبَةٍ مِنْ الْحَىِّ إِلَّا جَاءَ بِالْغَمِّ وَالْحَالِ^(٦)

ف «مِن» في عَجَزَ البيت - وهي المعنية هنا - إذا كانت بمعناها الأصلى فهي تفيد الانتساب، أى انتساب هذه الكلاب إلى هذا الحى.. وإذا كانت بمعنى «فِي» أفادت الشمول والاستغراق، أى انطباق الحكم في البيت على كل كلاب الحى.

(١) الديوان ج٤، ص ٢٢١.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ٢٢١.

(٣) ابن هشام، مُغْنَى اللِّيب، ج٢، ص ١٦.

(٤) الديوان ج٤، ص ٧٩.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ٧٩، ٨٠.

(٦) الديوان ج٣، ص ٢٥١.

(٦) في:

أ- ورود «في» بمعنى «مع»:

يقول:

ذَكَاءُ «أَرْسَطَالِيَس» فِي جِلْمٍ «أَخْتَفِ» وَهَمَّةٌ «عَمْرُو» فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ^(١)

وعلى وجود «في» بمعناها الأصلية فالمعنى أن جِلْمَ المددوح يشبه جِلْمَ أحنف، وهيمته تماثل همّة عمرو، وسماحته مناظرة لسماحة حاتم. وعلى اعتبارها بمعنى «مع»^(٢) فالمعنى أن المددوح يجمع في شخصيته كل هذه الصفات مجتمعة دونما فصل بين صفة وأخرى، فالصفات في المعنى الأول متفرقة وفي الثاني متحدة.

ب- ورود «في» بمعنى «على» الاستعلانية:

يقول:

وَبَوَارِقِ تَنْهَلُ فِينَا بِالنَّدَى وَصَوَاعِقُ تَنْقَضُ فِي الْأَغْدَاءِ^(٣)

والمعنى على بقاء «في» في شطري البيت فيه استغراق.. وعلى تقدير «على» فيه استعلاء.

ج- ورود «في» بمعنى «من» التي للتبعيض:

يقول:

مَجَزَتْ لَهَا أَهْلِي، وَفَارَقْتُ جِيرَتِي وَغَاضَبْتُ فِي الْخَلَانِ مَنْ كَانَ رَاضِيًا^(٤)

أى: وغاضبت فيهم رضاءهم... أو وغاضبت منهم من كان راضيًا^(٥).

د- ورود «في» بمعنى «لام» الجر:

يقول:

فَقِيمٍ يَخَافُ الْمَرْءُ سَوْرَةَ يَوْمِهِ وَفِي غَدِهِ مَا لَيْسَ مِنْ وَقَعِهِ بُدًّا^(٦)

(١) الديوان ج٣، ص ٢٩٩.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

(٣) الديوان ج١، ص ٧١.

(٤) الديوان ج٤، ص ٢٢٠.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ٢٢٠.

(٦) الديوان ج١، ص ٢١٨.

أى: في أى شيء يكون خوف المرء؟... أو لم يخاف هذا المرء؟
ففي الأول سؤال عن مكمّن الخوف... وفي الثاني استفهام عن سببه.

هـ- ورود «في» بمعنى «إلى» الجازة:

يقول:

قَدْ حَبَّبَ الْمَوْتَ كُرَهُ الضَّمِيمِ فِي نَفْرٍ لَوْلَاهُمْ لَمْ تَلْمُ فِي الْعَالَمِ النُّقَمَ^(١)

فإبقاء «في» يجعل في المعنى شمولاً واستغراقاً، فهؤلاء الأباة قد أحبوا الموت كلهم...
ويتقدير «إلى»^(٢) يصير المعنى فيه جَلَبٌ، فِكْرَةُ الضَّمِيمِ هو الذي جَلَبَ حُبَّ الْمَوْتِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَحْرَارِ.

و- ورود «في» بمعنى «الباء» الجازة:

يقول:

لَهُ بِالْفَلَا شُغْلٌ عَنِ الْمَدْنِ وَالْقَرْيِ وَفِي رَائِدَاتِ الْحَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الْأَهْلِ^(٣)

والمعنى على وجود «في»: أن «الشغل عن الأهل» سمة من سمات «رائدات الحيل»، وهى حياة المقامرة، ويتقدير الباء فالمعنى: أن شغله عن الأهل مرتبط برائدات الحيل.

(٧) لم:

ورود «لم» بمعنى «لا» النافية:

يقول:

وَهِيَ الدُّمُوعُ، فَحَقُّهَا لَمْ يَدْفَعْ

إِنَّ الْوَفَى بِعَهْدِهِ لَمْ يَخْدَعْ^(٤)

فُتِّقِيَ بِمَا تَمْلِيهِ أَلْسِنَةُ الْهَوَى

لَا تَخْسِبِي قَوْلِي خَدِيمَةَ مَا كَبُرَ

أى: «لا يدفع» و«لا يخدع»^(٥).

(١) الديوان ج٣، ص ٥٣٩.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٥٣٩، ٥٤٠.

(٣) الديوان ج٣، ص ٨١.

(٤) الديوان ج٢، ص ٢٢٨.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٢٢٨.

ولو استبدل «لا» بـ«لم» لأصبح الفعلان مرفوعين، مما يؤدي إلى الإقواء^(١).

(٨) استعمال «يَا» لنداء القريب:

حرف النداء «يَا» يستخدم لنداء البعيد، وقد نُودى به القريب في قوله:

يَا قَلْبُ، مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنْ الْهَوَى؟ يَا قَلْبُ مَا لَكَ؟^(٢)

إذ جعل قَلْبُهُ - وهو المخاطب - في مكان بعيد، أو كأنه لا يعرف أين قلبه الذي عشق^(٣).

وقد يكون نداؤه للقريب باستخدام «يَا» تأكيداً للمعنى وتقوية له، ودليل ذلك تكرار كل من النداء «يا قلب» والاستفهام «مالك» في عَجَز البيت.

ونخلص إلى أن «يَا» حرفٌ موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد^(٤).

ويبدو جلياً من دراسة ظاهرة التناوب بين الحروف في صورها المختلفة كيف أن إحلال حرف محل حرف آخر يؤدي إلى جلب معنيين في السياق؛ المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيل بافتراض الحرف المنتظر.

ثالثاً: الحروف ثلاثية البناء:

(١) إلى:

أ- ورود «إلى» بمعنى «في» الظرفية:

يقول:

فَقَدْ تَرَكْتَنِي سَاهِيَّ الْعَقْلِ سَادِرَا إِلَى الْغَىِّ لَا عَقْدَ لَدَيَّ وَلَا حَلَّ^(٥)

أى أن السَّدر - وهو التحير - سيسير به إلى طريق الغى - أى الضلال... أو أنها - أى عيون الحسان - قد تركته حائراً في الغى.

(١) الإقواء هو اختلاف حركة المجرى بكسر وضم، وهو عيب من عيوب القافية.

(٢) الديوان ج٢، ص ٣٧٥، وقد ورد في موضع آخر بالديوان ج٣، ص ٢٥٤.

(٣) انظر شرح البيت بالموضعين السابقين.

(٤) ابن هشام، مغنى اللبيب، ج٢، ص ٤١.

(٥) الديوان ج٣، ص ٤٤.

ب- ورود «إلى» بمعنى «اللام» الجارة؛
يقول:

فَمَنْ إِلَى مَلَجَا الضَّعِيفِ إِذَا أَقْبَلَ لَيْلٍ وَأَطْبَقَتْ ظِلْمَةً^(١)
فتمة معنيان: الأول «فمن يندب، أو يسارع إلى إعانة الضعيف، وإجارته؟»^(٢).
والثاني «فمن يُرجى لحماية الضعيف؟»^(٣).
(٢) أماء

ورود «أما» بمعنى «الآ» الاستفتاحية؛
يقول:

أما وهلال في دُجْنَةِ طُرَّة يَلُوحُ وَدُرٌّ فِي عَقِيقِ مَبَايِمِ
لَقَدْ أودَعَ البَيْنُ المِشْتُ بِمُهْجَتِي نَدوبًا، كَأَثْرِ الوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ^(٤)
ف«أما» حرف استفتاح بمعنى «الآ»، وهو يأتي بهذا ويكثر قبل القَسَمِ^(٥).
(٣) على؛

أ- ورود «على» بمعنى «لام» التعليل؛
يقول:

مَضَى وَأَقْمَنَّا بَعْدَهُ فِي مَا قَمِ عَلَى الْفَضْلِ نَبِيهِ بِأَخْرَ قَانِي^(٦)
والمعنى على وجود «على»: أن الماتم قد أقيم على الفقيه وهو الفضل، وعلى تقدير
«اللام» أن حزننا - على المرثى - كان لفضله وإحسانه^(٧).

(١) الديوان ج٣، ص ٤١٨.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٤١٨.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٤١٨.

(٤) الديوان ج٣، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٣، ص ٢٨٤، وابن هشام، مغنى اللبيب جا، ص ٥٢.

(٦) الديوان ج٤، ص ٩٩.

(٧) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ٩٩.

ب- ورود «عَلَى» بمعنى «مَعَ»؛

يقول:

أَصْبُو إِلَيْهَا عَلَى بُغْدٍ، وَيُعْجِبُنِي أَنَّى أَعِيشُ بِهَا فِي ثَوْبِ إِمْلَاقٍ^(١)
أى أصبو إلى روضة النيل على البُغْدِ . . . أو أصبو إليها رغم بعدى عنها^(٢) . فالمعنيان
يختلفان من حيث إن في الثاني مفارقة .

ج- ورود «عَلَى» بمعنى «الباء» الجارة؛

يقول:

أَتَزْعَمُنِي خِلاً وَتَهْجُرُ سَاحَتِي عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ؟ إِنْ ذَا لَمَعْجِبٍ^(٣)
أى: وتهجر ساحتى غير معتمد أى ذنب . . . أو وتهجر ساحتى بغير ذنب . . .

* * * * *

(١) الديوان ج٢، ص ٣٢٩ .

(٢) انظر شرح البيت بالديوان ج٢، ص ٣٢٩ .

(٣) الديوان ج١، ص ١٢٣ .

النتائج

يمكن إيجاز النتائج العامة المستخلصة من التناوب فيما يلي:

(١) أن استبدال فعل بفعل آخر، أو إحلال فعل محل غيره يؤدي إلى توسيع المعنى وإثرائه من حيث إن هذا الإحلال يجعل الفعلين مصطحبين، ومن ثم يصطحب المعنيان.

(٢) أن العلاقة بين الفعلين - الوارد والمنوب عنه - قد تصل إلى حد الترادف في الاستعمال، وقد تكون هذه العلاقة سببية، أي: أن أحد الفعلين مُسَبَّبٌ للآخر، كما في الفعلين: «أشتاقُ» و«أحبُّ» فالحب مسبب للشوق. وقد ترجع هذه العلاقة إلى اشتراكهما في الدلالة كما في «استقاده» و«بأدله»، فالقودُ هو قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعنى أخذ شيء مكان غيره، ومن هنا يشترك الفعلان في الدلالة على معنى التعويض. وقد تنشأ هذه العلاقة من الارتباط المثالي بين الفعلين، ويُقصد به ما ينجز عن أحدهما من معانٍ ليست بالضرورة واقعة، وإنما وقوعها مفترض، ومثال ذلك الفعلان: «قرأ» و«فهم» فليس ضروريًا أن يتبع الفهم عملية القراءة، لكن يُفترض أن يقترن بها.

وقد يكون بين الفعلين ارتباط عكسي، أي أن أحدهما عكس الآخر كما في «ترى» و«تسمع» كما قد يجمع بينهما الارتباط الجزئي، أي أن يكون أحد الفعلين من معاني الفعل الآخر، كما في الفعلين «قَطَعَ» و«شَلَّ»، إذ القَطع أحد معاني الشلل.

(٣) أن التناوب بين الأسماء يُبرزُ إلى حد كبير ارتباط الشاعر الوثيق بالتراث الشعري القديم، ويُظهِرُ ثقافته العربية الأصيلة، إذ إن الألفاظ الواردة في هذه الظاهرة مستمدة من البيئة البدوية في كثير من المواضع، ومن ثم فهي تعكس تأثره بالموروثات القديمة وتُبَيِّنُ محاكاته للقدمات، في الوقت الذي لم يغفل بعض مظاهر الحياة العصرية.

(٤) أن العلاقة بين الألفاظ الواردة والأخرى المنوب عنها قد تكون علاقة مكاتبة، بمعنى أن اسم المكان يَرِدُ بمعنى الاسم ذاته، وقد يكون اللفظ المذكور أكثر دلالة على المعنى المراد من مثيله المنوب عنه، كما قد تكون العلاقة بين اللفظين راجعة إلى اشتراكهما معًا في الدلالة وأحيانًا يصح اللجوء إلى لفظ بعينه بدلًا من لفظ آخر ضرورة لتحقيق التجانس في السياق والمزاوجة بين صدر البيت وعجزه.

(٥) أما في المصادر فالتناوب بينهما إما أن يُتَّبَع من وجود علاقة بين ما هو مذكور ونظيره

المنوب عنه، أو أن المصدر الوارد أكثر دلالة على ما هو مقصود من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة. وقد تصل العلاقة بين المصدرين إلى حد الترادف بينهما في الاستعمال. أما إحلال المصدر محل الصفة فيأتي للمبالغة والتأكيد.

(٦) أن التناوب بين الحروف يعني إضافة معنى آخر إلى المعنى المُفترض بوجود الحرف المقصود، أي أن إبدال «حرف بحرف لا ينجز عنه تعويض معنى بمعنى، بل إرداف معنى بمعنى، فإن حضور معنى الحرف المحذوف والذي كان ظهوره منتظرًا هو بمنزلة حضور معنى الحرف المستعمل»^(١).

* * * * *

(١) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ٤٩٥، ٤٩٦.